ثقافات الشعوب

@ketab_n
28.10.2014

رحلة إلى مشرق الشمس

الحكايات الشعبية لقبيلة الشيروكي

جمع: جايمس موني
ترجمة: فادي طفيلي

رحلة إلى مشرق الشمس

الحكايات الشعبية لقبيلة الشيروكي

@ketab_n

جمع:
جايمس موني

ترجمة:
فادي طفيلي

كلمة
KALIMA

أبوظبي للثقافة والتراث
ABU DHABI CULTURE & HERITAGE

Twitter: @ketab_n

رحلة إلى مشرق الشمس

الحكايات الشعبية لقبيلة الشيروكي

Twitter: @ketab_n

© هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، المجمع الثقافي
فهرسة دار الكتب الوطنية أثناء النشر

رحلة إلى مشرق الشمس: الحكايات الشعبية لقبيلة الشيروكي

© حقوق الطبع محفوظة
هيئة أبوظبي للثقافة والتراث (كلمة)
الطبعة الأولى 1431 هـ 2010 م

E99. C5 M77 2009
Mooney, James, 1861-1921.
[Myths of the Cherokee]

رحلة إلى مشرق الشمس: الحكايات الشعبية لقبيلة الشيروكي/ جمع جايمس موني؛
ترجمة فادي طفيلي. – ط.1.– أبوظبي: هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، كلمة، 2009.
176ص؛ 19x12.5 سم. (سلسلة ثقافات الشعوب).
تدمك: 5- 323-01-9948-978
ترجمة كتاب: Myths of the Cherokee
1 – القصص الشعبية الأمريكية 2 – الحكايات الأمريكية. أ– طفيلي، فادي. ب– العنوان.

مراجعة وتحرير: سامر أبوهواش
إخراج وتصميم: أحمد عبد الله التنان

كلمة KALIMA
info@kalima.ae
www.kalima.ae
ص.ب: 2380 أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، هاتف: 468 6314 2 971+ ،
فاكس: 462 6314 2 971+

www.adach.ae
ص.ب: 2380 أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، هاتف: 300 6215 2 971+ ،
فاكس: 059 6336 2 971+

إن هيئة أبوظبي للثقافة والتراث (كلمة) غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره وإنما تعبّر آراء الكتاب عن مؤلفها.

حقوق الترجمة العربية محفوظة لكلمة

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أي وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات واسترجاعها دون إذن خطي من الناشر.

Twitter: @ketab_n

المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
تقديم	11
كيف نشأ العالم؟	15
النار الأولى	19
كاناتي وسيلو: أصل الطرائد والذُرة	23
الحكاية نفسها بحسب واهينوهي	39
أصل المرض والدواء	43
ابنة الشمس	49
كيف استعاد الهنود التبغ؟	55
نسخة ثانية من الحكاية	57
رحلة إلى مشرق الشمس	59
القمر والرعود	61
كيف تبدو النجوم؟	64
أصل الثريا والصنوبر	66
درب التبانة	68
أصل الفراولة	69
السترة الصفراء العظيمة: أصل السمك والضفادع	71
الطوفان	74
القبائل ذات الأربع	76
الأرنب يذهب لصيد البط	89
كيف سرق الأرنب معطف القُضاعة	93

Twitter: @ketab_n

لماذا ذيل الأبوسوم أجرد؟ 97
كيف قبض السنَور على الديك الرومي؟ 100
كيف هزم الرق الأرنب؟ 102
الأرنب وذئب القطران 106
نسخة ثانية من الحكاية 108
الأرنب والأبوسوم يريدان الزواج 110
الأرنب يولم للدب 112
الأرنب يفر من الذئاب 113
الظران يزور الأرنب 115
كيف حصل الغزال على قرونه؟ 118
لماذا أسنان الغزال كليلة؟ 120
مصير الأرنب 123
لماذا للمنْك رائحة؟ 125
لماذا يحَيا الخُلد في باطن الأرض؟ 126
هروب الرّق من الذئاب 128
أصل رقصة القندس: رأس القندس 131
هجرة الحيوانات 133
انتقام الذئب أو الذئب والكلب 134
قبائل الطيور 136
مباراة الكرة بين الطيور والحيوانات 149
كيف حصل الديك الرومي على لحيته؟ 153
لماذا يكركر الديك الرومي؟ 155

Twitter: @ketab_n

كيف حصل الرفراف على منقاره؟ 157
كيف حصل الحجل على صفرته؟ 159
كيف حصل الطائر الأحمر على لونه؟ 161
التدْرُج يَسحَنُ الذرة أو أصل رقصة التدْرُج 163
السباق بين الكركي والطنان 165
زواج البوم 167
زواج الهووهوو 169
لماذا رأس الصقر الجراح أصلع؟ 172
انتقام النسر 173
الصياد والصقر الحوام 175

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

هذه السلسلة

تأتي هذه السلسلة التي تجمع تراث الشعوب من الحكايات والأساطير والخرافات الشعبية، منسجمة مع الأهداف والقيم التي اختطتها لنفسها مبادرة «كلمة» منذ البداية، كمشروع رائد للترجمة في العالم العربي. تلك القيم والأهداف التي تسعى أبوظبي إلى تجسيدها، لتشيع ثقافة التسامح والحوار، وبناء جسور التواصل بين شعوب الأرض وحضاراتها، وتعزيز العمق الثقافي الجامع بين مختلف الأعراق والجنسيات والثقافات، وجمعها تحت سقف واحد، هو سقف الثقافة والمعرفة والكلمة التي تجمع ولا تفرّق.

وليست حكايات الشعوب هذه، التي تقدّم للمرة الأولى لقرّاء العربية بمثل هذه الشمولية والكثافة والاتساع، إلا ترسيخاً لهذا المشترك الإنساني الجامع. وكأن ما اصطلحت البشرية على تسميته «عولمة» منذ عقدين من الزمان أو نيّف، كان متحقّقاً بالفعل منذ مئات بل آلاف السنين، عبر حكايات نجدها تتنقّل بحرية من أرض إلى أرض، ومن لسان إلى آخر، إذ تطرأ عليها تعديلات هنا أو هناك، لتناسب ثقافة هذا الشعب أو ذائقة تلك الأمة، أو ظروف تلك الجماعة. وفي بعض الأحيان نجد الحكاية نفسها - مع تغيير في أسماء الناس والأمكنة - تروى في أقاصي الشرق، على نحو ما تروى في أقاصي الغرب، أو

Twitter: @ketab_n

شمال الأرض أو جنوبها. فإذا كانت الحكايات تتمتع بميزة أساسية فهي قدرتها على اختراق الحدود الجغرافية والعرقية والنفسية والسياسية والدينية واللغوية، لتولد في كل مرة، وعند كل قوم من الأقوام، بصورة خاصة وفريدة، تشير إلى خصوصية الذات.

وهكذا، تبقى الحكايات سرّ هذه الأرض الواحدة، نبتتها أو لنقل زهرتها الفريدة، التي نبتت من تربتها الخصبة الواحدة، ونمت تحت سمائها الشاسعة الواحدة، لتجوب آفاق الدنيا، مبدّلة ربما أثوابها وألوانها، ولكن محتفظة دوماً بجوهرها الإنساني الفسيح والعميق.

وإننا إذ نقدّم هذه الحكايات، زهرات الأرض الفريدة هذه، في باقة واحدة ثرية الأجناس والألوان، فإيماناً منا بأننا على اختلاف ثقافاتنا وحضاراتنا، أبناء هذه الأرض الواحدة، وبأن ما ترويه جدّة ما لأحفادها في أصقاع القطب الجنوبي، من حكايات تؤكد قيم الخير والحب والعدالة والسلام، ترويه - وإن بلغة أخرى - جدة أخرى في أصقاع أخرى من الأرض، وهذا ما يجعل الحكايات الشعبية ميراثاً أصلياً للبشرية جمعاء، بقدر ما هي ملك أصلي لكلّ شعب من الشعوب وثقافة من الثقافات.

د. علي بن تميم

مدير مشروع «كلمة» للترجمة

Twitter: @ketab_n

تقديم

الشيروكي هم إحدى أشهر قبائل سكان أمريكا الشمالية الأصليين، ممن عرفوا من قبل المستعمرين البيض باسم «الهنود الحمر» وذلك استناداً إلى ظن كريستوفر كولومبوس الخاطئ بأنه وصل إلى الهند حين وصل إلى بلادهم في أكتوبر عام 1492م.

منذ أزمنة قديمة سبقت وصول كولومبوس وما تلا وصوله من استعمار أوروبي، وقبل ترحيل الشيروكي من الجنوب إلى محميات في غرب نهر الميسيسيبي، عملاً بـ «قرار نقل الهنود» الذي وقعه الرئيس الأمريكي السابع أندرو جاكسون عام 1830، فقد سكن الشيروكي المناطق التي أخذت تمثل منذ القرن الثامن عشر جنوب الولايات المتحدة الأمريكية، وانتشرت بلداتهم وقراهم في بيئة جغرافية متنوعة شملت ولايات ألاباما وجورجيا وكنتاكي ونورث كارولينا وساوث كارولينا وتنيسي وفيرجينيا.

Twitter: @ketab_n

وتمثل المناطق والولايات الجنوبية الأمريكية تلك، المسرح الطبيعي لقصص الشيروكي التي بين أيدينا، فَتَرِد أسماؤها كلها في كثير من القصص، كما ترد أسماء أنهارها وجبالها وسهولها وقراها وحيواناتها وطيورها ونباتاتها الكثيرة المميزة، هذا إضافة إلى أسماء العديد من القبائل الأخرى التي جاورت الشيروكي في تلك البلاد وتفاعلت معهم سلماً أو حرباً. كما ترد في القصص عبارات وأسماء كثيرة دُونت في لغة الشيروكي الخاصة التي تنتمي إلى عائلة لغة الإيروكوا، القبيلة الهندية الكبيرة الأخرى. وقد نقلنا في هذا النص المترجم تلك العبارات والأسماء حسب ما تُلفظ بالأحرف العربية استناداً إلى لفظها بالأحرف اللاتينية. هذا وارتأينا ترجمة عبارة «مستعمرة» (settlement)، التي ترد في القصص لتشير إلى بلدات الشيروكي والقبائل الأخرى، إلى «قرية»، وذلك لتمييز قرى وبلدات الهنود عن «المستعمرات» ومفهومها الذي جاء مع المستعمرين الأوروبيين البيض وارتبط بهم.

لم يكن الشيروكي يسمون حكاياتهم هذه أساطير. إذ كانت مروياتهم تُعد بمثابة تعاليم مقدسة تفوه بها أجدادهم وكبار حكمائهم للإشارة إلى حقائق الكون والوجود الخالدة. وهي،

Twitter: @ketab_n

حسب ما اعتقدوا، تخصهم وحدهم، فلم يكن جائزاً قيام آخرين، قبائل أو شعوباً، بسردها وإخبارها.

حسب الإحصاء الرسمي لتعداد السكان في الولايات المتحدة الصادر قبل سنوات، تُعد قبيلة الشيروكي أكبر قبيلة هندية بين القبائل الخمسمئة والاثنين وستين المعترف بها فدرالياً في الولايات المتحدة الأمريكية اليوم. وكانت القبيلة المذكورة قد اعتبرت منذ القرن التاسع عشر، من قبل المستعمرين البيض، إحدى «القبائل المتحضرة الخمس» نظراً لكثرة تفاعلها معهم في الثقافة والزواج وأساليب الحياة. الأمر قد يفسر ربما اهتمام «مكتب الدراسات العرقية الأمريكي» في واشنطن بقبيلة الشيروكي في أواخر القرن التاسع عشر.

جايمس موني، مُحقق هذه القصص وجامعها، المولود في ريتشموند بولاية إنديانا عام 1861، هو أحد أفراد الجيل الأول لباحثي الأنثروبولوجيا المحترفين في الولايات المتحدة، إذ كان قد بدأ عمله كباحث في مكتب الدراسات العرقية الأمريكي في عام 1885 حين انتقل من ريتشموند إلى العاصمة الأمريكية، واشنطن. وقد تمحور اهتمام موني الأكبر في عمله البحثي، على نحو خاص، حول تاريخ شعب الشيروكي وثقافته، فقضى

Twitter: @ketab_n

سنوات عديدة من حياته مختبراً العيش في أوساط القبيلة بولاية نورث كارولينا، متعلماً لغتها ومستقصياً عن عاداتها وتقاليدها ومسجلاً قصصها التي سمعها من أفراد قبليين مسنين ومن أشخاص تربطهم بالشيروكي صلات قربى، كما من رواة آخرين كانوا قد سبقوه إلى تسجيل القصص ونقلها وتأويلها. وقد أشار موني، في سياق الحكايات التي جمعها وفي حواشيها إلى الكثير والوافي من تلك المصادر الأولى والثانية التي نقل عنها، مما يدعم مكانته وسمعته عند معظم المهتمين والباحثين بثقافة السكان الأصليين في أمريكا، كمحقق «المدونات الأكثر دقة في ثقافة الشيروكي وتاريخهم».

فادي طفيلي

Twitter: @ketab_n

كيف نشأ العالم؟

الأرض جزيرة عظيمة تطفو على بحر من المياه، وتتعلق بعقد السماء الذي من صخر صلب بحبال تتدلى من كل واحدة من نقاطه الأربع الرئيسة. عندما يهرم العالم ويبلى، سيموت الناس وتنقطع الحبال تاركة الأرض للمحيط تغرق فيه، وسيعم الماء مرة أخرى. وهذا ما يخشاه الهنود على الدوام.

حين كان الماء يملأ الأرض، كانت الحيوانات فوق في «غالونلاتي»، خلف القنطرة. إلا أن الازدحام كان كبيراً، فبدأت تسعى إلى مكان إضافي. تساءلت عما تحت المياه، وأخيراً عرض دايونيسي، «حفيد القندس»، خنفس الماء الصغير، الذهاب للبحث عما يوجد هناك. وثب في كل اتجاه فوق سطح الماء، لكنه لم يستطع العثور على موضع يابس يستريح عليه. ثم غاص إلى الأعماق، وعاد إلى الأعلى ببعض طين لين أخذ يكبر ويمتد في كل اتجاه حتى صار الجزيرة التي نسميها الأرض. وكان أن عُلقت السماء بعد ذلك بأربعة حبال، لكن أحد لا يذكر من علقها.

Twitter: @ketab_n

في البدء كانت الأرض مسطحة بالغة اللين والرطوبة. فقلقت الحيوانات من السقوط، وأرسلت طيوراً مختلفة لترى إن كان الجفاف قد حل، إلا أنها لم تجد مكاناً تحط عليه فعادت أدراجها إلى «غالونلاتي» . أخيراً بدا أن الوقت حان، فأرسلت الصقر وطلبت منه أن يذهب ويهيئ لها الأمر. ذاك كان الصقر العظيم، أب جميع الصقور التي نراها الآن. طار في أرجاء المعمورة، ودنا من اليابسة، وكان الماء لا يزال في الأرجاء. حين بلغ بلاد الشيروكي، أدركه التعب الشديد، وأخذ جانحاه يصفقان ويرتطمان بالأرض، وصارا في كل موضع يرتطمان به يشقان وادياً، وحين يرتفعان مرة أخرى يقوم جبل. وإذ رأت الحيوانات في الأعلى ذلك، خافت من أن يمتلئ العالم بالجبال، فنادت عليه كي يعود، لكن أرض الشيروكي ظلت محتشدة بالجبال حتى يومنا هذا.

حين جفت الأرض ونزلت الحيوانات، كان الظلام ما زال سائداً، فقامت الحيوانات إذ ذاك وأحضرت الشمس ووضعتها في مسار تذهب فيه كل يوم، هنا في الأعلى، عبر الجزيرة من الشرق إلى الغرب. بذاك بات الحر شديداً، وامتلك الإربيان[1] الأحمر، تسيسكاغيلي، محاراً ملذوعاً بالأحمر القاني، مما جعل لحمه فاسداً فامتنع الشيروكي عن أكله. ورفع السحرة الشمس

(1) جراد البحر (م).

Twitter: @ketab_n

في الهواء شبراً آخر، غير أن الحر ظل شديداً. فرفعوها مرة أخرى، وثالثة، إلى أن باتت على ارتفاع سبعة أشبار تحت قنطرة السماء بالتمام. حينها غدت الشمس في موقعها الصحيح، فتركوها هكذا. لهذا يسمي السحرة المكان الأعلى «غولكواجين دي غالون لاتييون»، «العلو السابع»، لأنه على علو سبعة أشبار فوق الأرض. في كل يوم تتقدم الشمس على طول القنطرة وتحتها، وتعود في المساء إلى الجانب الأعلى عند نقطة البداية.

ثمة عالم آخر في أسفل هذا العالم، وهو كمثل عالمنا في كل شيء - الحيوانات، النباتات والبشر - ما عدا الفصول فهي مختلفة. وليست الجداول التي تنزل من الجبال إلا السبل التي تقودنا إلى العالم السفلي، أما في أعلاها فهي بوابات العبور التي ندخل منها، لكن كي يفعل المرء هذا عليه الذهاب مسرعاً إلى الماء فيتخذ واحداً من سكان العالم السفلي دليلاً. نحن نعلم أن الفصول في العالم السفلي تختلف عن فصولنا، لأن الماء في الجداول على الدوام أدفأ في الشتاء وأبرد في الصيف من الهواء المحيط.

في البدء عندما خلقت الحيوانات والنباتات - نحن لا نعلم من خلقها - طُلب منها أن تراقب وأن تبقى صاحية لليالٍ سبع، تماماً كما يصوم الشبان اليوم ويبقون صاحين حين يصلون

Twitter: @ketab_n

لقوتهم السحرية[1]. وقد حاولت الحيوانات فعل هذا، وظلت كلها تقريباً صاحية طوال الليلة الأولى، لكن عدداً منها استسلم للنوم في الليلة الثانية، ونام آخرون في الليلة الثالثة، ومن ثم آخرون، حتى لم يبقَ من جميع الحيوانات من هو صاح في الليلة السابعة سوى البومة والفهد وحيوان واحد أو اثنين غيرهما. لهذا أعطيت البومة القدرة على الرؤية والتجوال في الظلام، وأن تجعل من الطيور والحيوانات التي تنام في الليل طرائد لها.

أما أشجار السدر والصنوبر والغار فقد ظلت، دون غيرها من الأشجار، صاحية حتى النهاية، وقد أعطي لها الخضار الدائم وأن تكون الأعظم للعلاج، وقد قيل للأشجار الأخرى: «لأنك لم تثبتي حتى النهاية فسوف تفقدين شعرك في كل شتاء».

بعد الحيوانات والنبات جاء البشر. في البدء لم يكن هناك سوى شقيق وشقيقة إلى أن رمى الشقيق أخته بسمكة وقال لها أن تتكاثر، ففعلت. في سبعة أيام ولد لها ابن، وبعدها صار في كل سبعة أيام يولد ابن آخر، وأخذ البشر يتزايدون بسرعة كبيرة حتى بات هناك خطر ألا يتسع العالم لجميع أولادها. حينئذ جُعل إنجاب المرأة لابن واحد في العام لا أكثر، وبقي الوضع على هذا الحال منذ ذلك الحين.

(1) تمنح المرء القدرة على السيطرة على القوى الطبيعية أو السحرية (عند الهنود الحمر)(م).

Twitter: @ketab_n

النار الأولى

في البدء لم يكن ثمة نار وكان العالم بارداً، إلى أن قامت العواصف (آني - هيون تيكوالا سكي)، التي عاشت فوق في «غالونلاتي»، بإرسال صواعقها وبإضرام النار في أسفل شجرة جميز مجوفة نبتت على جزيرة. عرفت الحيوانات بأمر هذه النار لأنها تمكنت من رؤية الدخان المتصاعد في الأعلى، لكنها لم تستطع بلوغها نظراً لوجود الماء، فعقدت مجلساً تقرر فيه ما ينبغي عمله. حصل هذا منذ زمن بعيد.

وكان كل حيوان قادر على الطيران أو السباحة تواقاً للسعي خلف النار.

عرض الغراب الأسود الذهاب، ولأنه كان كبيراً جداً وقوياً اعتقدت باقي الحيوانات أنه بالتأكيد قادر على تنفيذ المهمة، فأُرسل أولاً. طار عالياً وبعيداً فوق الماء وحط على شجرة الجميز، لكن وبينما يفكر بما ينبغي فعله بعد ذلك، لذع الحر ريشه كله وسوده، فحل به الخوف وعاد من دون النار.

Twitter: @ketab_n

بعدئذ تطوع البوم الصياح الصغير (وا هوهو) للذهاب وبلغ المكان سالماً، لكنه حين راح ينظر إلى الأسفل من خلال الشجرة المجوفة صعدت هبة هواء ساخن كادت أن تحرق عينيه. استطاع جاهداً أن يطير عائداً إلى الدار، غير أن بصره لم يُبرأ إلا بعد مضي وقت طويل، وقد ظلت عيناه حمراوين حتى يومنا هذا.

ثم ذهب البوم الناعب (أوكوغو) والبوم الأقرن (تسكيلي)، لكن في الوقت الذي بلغا فيه الشجرة المجوفة كانت النار قد استعرت بعنف شديد وكاد الدخان أن يعميهما وكون الرماد الذي حملته الريح حلقات بيضاء حول عيونهما. كان عليهما العودة مرة أخرى إلى الدار من دون النار، وبرغم الحك الكثير الذي قاما به لم يتمكنا قط من إزالة الحلقات البيضاء.

إذ ذاك لم يعد أحد من الطيور مستعداً للمجاذفة مرة أخرى، فقام الأفعوان الصغير أوكسوهي، الراسر[1] الأسود، وقال إنه سيخوض في الماء ويعود ببعض النار. سبح الراسر نحو الجزيرة وزحف عبر الحشائش إلى الشجرة، ودخلها من خلال ثقب صغير في أسفلها. وكان الحر والدخان شديدين عليه أيضاً، وبعد أن تلمس طريقه مراوغاً فوق الرماد الساخن، حتى كاد

(1) أفعى أمريكية (م).

Twitter: @ketab_n

أن يشتعل، استطاع بفضل حظه الحسن الخروج من الثقب ذاته مجدداً، لكن جسمه كان قد لُذِع واسودّ، وصارت له منذ ذلك الحين عادة الوثب والانثناء في طريقه وكأنه يحاول الهرب من أشياء تلتصق به. عاد أوكسوهي من هناك، وقام الأفعوان الأسود العظيم، غولي غي، «المتسلق»، وعرض أن يذهب لإحضار النار. سبح عابراً نحو الجزيرة وتسلق الشجرة من خارجها، كما يفعل الأفعوان الأسود على الدوام، لكن ما إن أدخل رأسه في الثقب حتى خنقه الدخان فوقع في العقب المشتعل، وقبل أن يتمكن من التسلق خارجاً من هناك كان قد اسود كمثل أوكسوهي.

إذ ذاك عقدوا مجلساً آخر، ولم يكن ثمة نار بعد والعالم لا يزال بارداً، وكان للطيور والأفاعي والحيوانات ذات الأربع بعض الأعذار تبرر عدم ذهابها، لأنها جميعها خشيت المجاذفة بالاقتراب من شجرة الجميز المشتعلة، إلى أن أعلن كاناني سكي أماي يهي (عنكبوت الماء) أخيراً أنه يود الذهاب. لم يكن هذا الأخير هو نفسه عنكبوت الماء شبيه البعوضة، بل واحد آخر له زغب أسود وخطوط حمراء على جسمه. وكان هذا العنكبوت قادراً على الجري فوق سطح الماء والغوص في قعره، فلن تكتنف الصعاب تقدمه نحو الجزيرة، لكن المسألة التي ظلت عالقة تمثلت

Twitter: @ketab_n

في كيفية عودته بالنار؟ فقال: «سوف أتدبر أمري»، وقام بنسج خيط من جسمه وحاكه حول زبدية توستي[1]، وثبت الأخيرة على ظهره. ثم عبر باتجاه الجزيرة ومضى عبر الحشائش إلى حيث كانت النار لا تزال مشتعلة. وضع العنكبوت جمرة صغيرة من النار في زبديته وعاد بها، وقد بات لنا نار منذ ذلك الحين، وما زال عنكبوت الماء يحتفظ بزبدية التوستي تلك.

Twitter: @ketab_n

(1) عبارة هندية تعني السلام والسعادة (م).

كاناتي وسيلو: أصل الطرائد والذُرة

عندما كنت فتى هذا ما أخبرني إياه المسنون عما سمعوه حين كانوا فتياناً.

منذ سنوات بعيدة، تلت صنع العالم مباشرة، عاش في «بايلوت نوب» صياد وزوجته وفتى صغير هو ابنهما الوحيد. وكان اسم الوالد «كاناتي» (الصياد المحظوظ)، وكانت زوجته تدعى سيلو (الذُرة). في أي وقت كان يذهب فيه «كاناتي» إلى الغابة، لم يكن ليخفق قط بالعودة مع حمل من الطرائد، التي تقوم زوجته بتقطيعها وتحضيرها، وغسل لحمها من الدماء في النهر قرب البيت. وكان الصبي الصغير يلعب هناك عند النهر في كل يوم، وفي أحد الصباحات ظن المسنون أنهم سمعوا ضحكات وأحاديث صادرة من الآجام وكأن ثمة ولدين فيها. في المساء عندما عاد الصبي إلى البيت سأله والداه عمن كان يلعب معه طيلة اليوم. فقال الصبي: «إنه يخرج من الماء، ويسمي نفسه أخي الأكبر. يقول إن أمه قست عليه ورمته في النهر». ثم علموا

Twitter: @ketab_n

أن الفتى الغريب انبثق من دم الطرائد التي كانت سيلو تغسلها عند حافة النهر.

في كل يوم حين كان الصبي الصغير يخرج للعب كان الآخر ينضم إليه، لكن المسنين لم يحظوا برؤيته البتة لأنه كان على الدوام يعود مجدداً إلى الماء. أخيراً، في إحدى الأمسيات قال «كاناتي» لابنه: «غداً، عندما يأتي الصبي الآخر للعب، ادعه لمصارعتك، وحين تطوقه بذراعيك امسكه وناد علينا». وعد الصبي أن ينفذ ما طُلب منه، وفي اليوم التالي، ما إن ظهر رفيقه في اللعب حتى دعاه إلى جولة مصارعة. وافق الآخر على الفور، لكن ما إن هما بتطويق واحدهما الآخر بذراعيهما، حتى بدأ ابن «كاناتي» بالصياح لأبيه. على الفور هرع كبار السن راكضين، وإذ شاهدهم الصبي البري راح يجهد لتحرير نفسه وصرخ قائلاً: «دعني أذهب أنت أفلتني!»، إلا أن أخاه ظل صامداً حتى وصول الأهل إلى الموقع حيث أمسكوا الصبي البري وأخذوه معهم إلى البيت. أبقوه في البيت حتى أتموا ترويضه، لكنه ظل على الدوام بريئاً وبارعاً في التفلت، وقد مثل قدوة لأخيه في كل أذى. ولم يطل الوقت حتى اكتشف كبار السن أن لديه قوى سحرية، وقاموا بتسميته «إيناج أوتاسون هي» (هو الذي نشأ في البرية).

Twitter: @ketab_n

كان «كاناتي» كلما ذهب إلى الجبال يعود دائماً بحيوان ذكر سمين أو بأنثاه، أو ربما بزوجين من الديكة الرومية. في أحد الأيام قال الصبي البري لأخيه: «إنني أتساءل من أين يأتي والدنا بكل هذه الطرائد، فلنتبعه في المرة المقبلة لنر». بعد أيام قليلة أخذ «كاناتي» قوساً وبعض الريش وانطلق نحو الغرب. انتظر الصبيان قليلاً ثم انطلقا في أثره، إلى أن شاهداه يخوض في مستنقع يضم عدداً عظيماً من القصب الصغير الذي يستخدمه الصيادون في صنع جذوع السهام. إذاك قام الصبي البري بتحويل نفسه إلى كتلة خفيفة من وبر طائر، ثم رفعته الريح وحملته ليحط على كتف «كاناتي» فور دخوله المستنقع، على أن «كاناتي» لم يدر شيئاً عن هذا. قطع الرجل الكبير القصب وثبت الريش بها وصنع بعض الأسهم، والصبي البري - في حالته الأخرى - فكر، «لأي غرض تصلح هذه الأشياء؟».

حين فرغ «كاناتي» من صنع أسهمه خرج من المستنقع وانطلق من جديد. طيرت الريح الوبر عن كتفه، فسقط في الغابة، وحين عاد الصبي البري إلى شكله المعتاد من جديد رجع إلى أخيه وأخبره عما رأى. وبعيداً عن أنظار والدهما، صعدا في إثره إلى الجبل إلى أن وقف الوالد في مكان محدد ورفع صخرة كبيرة. هناك

Twitter: @ketab_n

في الحال برز غزال راكضاً، عاجله «كاناتي» بسهم، ثم حمله على كتفه وانطلق عائداً به إلى البيت. هتف الصبيان: «أوهو! إنه يحتفظ بجميع الغزلان في ذلك الكهف، وكلما احتاج إلى اللحم يُخرج واحداً منها فيقتله بتلك الأشياء التي يصنعها في المستنقع». أسرعا وبلغا البيت قبل وصول والدهما الذي كان يحمل الغزال الثقيل، ولم يعرف البتة أنهما كانا يتعقبانه.

بعد أيام قليلة عاد الصبيان إلى المستنقع، فقطعا بعض القصب وصنعا سبعة أسهم ثم انطلقا صعوداً إلى الجبل حيث ترك والدهما الطرائد. حين وصلا إلى المكان، رفعا الصخرة فخرج غزال راكضاً. وما إن هما برميه حتى خرج آخر، ثم آخر وآخر، إلى أن ارتبكا ونسيا ما جاءا من أجله. في تلك الأيام كانت جميع الغزلان لها أذيال تتدلى كأذيال باقي الحيوانات، لكن حين تقدم أحد تلك الغزلان قام الصبي البري بضرب ذيله بالسهم الذي يحمله فالتوى إلى الأعلى. وجد الولدان أن هذه لعبة مسلية، وحين تقدم الغزال الثاني راكضاً قام الصبي البري بضرب ذيله وأحال الأخير مرفوعاً إلى الأعلى، وقام أخوه بضرب غزال آخر بسهمه بقوة ما جعل الذيل وكأنه معقود خلف ظهر الغزال. منذ ذلك الحين والغزال يحمل ذيله هكذا، معقوداً خلف ظهره.

Twitter: @ketab_n

ظلت الغزلان تخرج راكضة تباعاً إلى أن خرج من الكهف آخر واحد منها ومضت في أرجاء الغابة. ثم خرجت قطعان من الراكون والأرانب وكل الحيوانات الأخرى من ذوات الأربع – كلها ما عدا الدب، لأنه لم يكن هناك دب بعد.

في النهاية خرجت جماعات عظيمة من ديوك الرومي والحمائم والحجل وقد أعتمت الجو كمثل غيمة وأصدرت صوتاً من خفق أجنحتها سمعه «كاناتي»، القابع في البيت، كصوت عاصفة بعيدة فوق الجبال وقال لنفسه: «ولداي المشاغبان وقعا في ورطة، يجب أن أذهب لأرى ماذا يفعلان». فقام وصعد إلى الجبل، وحين وصل إلى المكان الذي حبس فيه الطرائد وجد الصبيين واقفين قرب الصخرة، وقد ذهبت جميع الطيور والحيوانات. كان «كاناتي» غاضباً، لكنه من دون التلفظ بكلمة نزل إلى الكهف ورفع أغطية أباريق أربعة في إحدى الزوايا، حينها اندفعت إلى الخارج أسراب البق والبراغيث والقمل والبعوض وهاجمت الصبيين. فصرخ الأخيران من الألم والرعب وحاولا التغلب على الحشرات المؤذية لكن راحت الآلاف منها تعضهما وتلسعهما حتى سقطا كالميتين. وقف «كاناتي» يشاهد إلى أن رأى أنهما نالا ما يكفي من العقاب، فعاد وحبس الحشرات

Twitter: @ketab_n

المؤذية وتوجه بكلامه للصبيين: «الآن أيها النذلان كان لديكما على الدوام الكثير لتأكلانه من دون قيامكما بأي عمل. حين كنتما تشعران بالجوع كل ما كان علي فعله هو أن آتي إلى هنا فآخذ غزالاً أو ديكاً رومياً وأعود به إلى البيت لتطبخه أمكما، أما الآن وقد أخرجتما كل الحيوانات، فقد بات عليكما بعد ذلك، حين تريدان أن تأكلا غزالاً أو سواه، أن تذهبا وتصطاداه في الغابات، حيث قد لن تجدا أياً منها. اذهبا الآن إلى أمكما في البيت، حتى أرى إن كان باستطاعتي إيجاد شيء نأكله للعشاء».

عندما عاد الصبيان إلى البيت كانا متعبين جداً وجائعين وطلبا من أمهما شيئاً يأكلانه. فقالت سيلو: «لا يوجد لحم، لكن اصبرا قليلاً حتى أحضر لكما شيئاً». فأخذت سلة وتوجهت إلى مخزن البيت. كان المخزن مبنياً على أعمدة مرتفعة عن الأرض، كي لا تبلغه الحيوانات، وكان ثمة سلم للصعود إليه وباب واحد لا غير. في كل يوم حين تتحضر سيلو لطهي الطعام تتوجه إلى المخزن ومعها سلة تعود وقد ملأتها بالذرة والفول. لم يدخل الصبيان قط إلى المخزن، فكانا يتساءلان من أين يأتي كل هذا الفول والذرة، والبيت لم يكن بذاك الاتساع، وحين خرجت سيلو من باب البيت قال الصبي البري لأخيه: «فلنر ماذا تفعل».

Twitter: @ketab_n

ركضا إلى المكان وتسلقا الجدار الخلفي من المخزن وسحبا من بين العارضات قطعة من الطين لكي يتسنى لهما اختلاس النظر. هناك شاهدا سيلو تقف وسط الغرفة والسلة أمامها على الأرض. منحنية فوق السلة قامت بحك بطنها – هكذا – فامتلأ نصف السلة بالذُرة. ثم قامت بحك إبطها – هكذا – فامتلأت السلة إلى آخرها بالفول. نظر الصبيان إلى واحدهما الآخر وقالا: «هذا غير معقول! أمنا ساحرة. إن أكلنا شيئاً من هذا فسوف نتسمم. يجب أن نقتلها».

عندما عاد الصبيان إلى البيت، علمت الأم بأفكارهما قبل أن يتفوها بشيء، فقالت: «تريدان قتلي إذن؟».

«أجل، فأنت ساحرة».

«حسناً، عندما تنتهيان من قتلي نظفا قطعة أرض كبيرة قرب البيت وجرا جسدي سبع مرات حول الدائرة. ثم جراني سبع مرات فوق الأرض داخل الدائرة، وابقيا صاحيين طيلة الليل وراقبا، ففي الصباح سوف يكون لكما الكثير من الذُرة».

قتل الصبيان الأم بواسطة هراوتيهما وقطعا رأسها ووضعاها على سطح البيت ووجها وجهها باتجاه الغرب، وقالا لها أن تنظر

Twitter: @ketab_n

إلى زوجها. ثم انطلقا للعمل في تنظيف الأرض قرب البيت، غير أنهما وبدل تنظيفها كلها لم ينظفا سوى سبعة مواضع صغيرة. لهذا لا تنبت الـذُرة الآن في كل العالم بل في بعض الأمكنة القليلة. قاما بجر جسد سيلو حول الدائرة، وفي كل موضع سال فيه دمها على الأرض نبتت الذُرة. لكنهما وبدلاً من أن يجرا جسدها سبع مرات حول الأرض قاما بجره مرتين فقط، ما يعد سبباً لعمل الهنود في محاصيلهم مرتين في السنة وحسب. جلس الشقيقان وراقبا الذرة طوال الليل، وفي الصباح كانت قد أتمت نموها وأينعت.

عندما عاد «كاناتي» إلى البيت أخيراً، نظر في الأرجاء، لكنه لم ير سيلو في أي مكان، فسأل الصبيين عن مكان وجود أمهما. فقالا: «لقد كانت ساحرة فقتلناها، تجد رأسها هناك في أعلى البيت».

عندما شاهد «كاناتي» رأس زوجته على السطح، استشاط غضباً، وقال: «لن أبقى معكما بعد الآن، إني ذاهب إلى شعب الذئب». فانطلق، لكن قبل ابتعاده قام الصبي البري بتحويل نفسه مرة أخرى إلى بقعة وبر حطت على كتف «كاناتي». حين بلغ الأخير قرية شعب الذئب، كانوا يعقدون اجتماعاً في

Twitter: @ketab_n

دار البلدة. فدخل وجلس بخصلة وبر الطائر على كتفه، لكنه لم يدرك ذلك البتة. حين سأله زعيم الذئب عن عمله، قال: «لي في البيت ولدان شريران، وأريدكم أن تذهبوا خلال سبعة أيام من الآن وتلعبوا الكرة ضدهما».

على الرغم من أن «كاناتي» تكلم وكأنه يريدهم أن يلعبوا لعبة كرة، عرف الذئاب بأنه قصد أن يقول لهم أن يذهبوا ويقتلوا الصبيين. فوعدوا بالذهاب. ثم طارت خصلة وبر الطائر عن كتف «كاناتي»، ورفعها الدخان لتخرج من ثقب في سقف دار البلدة. حين سقطت على الأرض في الخارج، استعاد الصبي البري شكله الحقيقي مرة أخرى ومضى إلى البيت وأخبر أخاه بكل ما سمعه في دار البلدة. إلا أن «كاناتي» وحين غادر شعب الذئب، لم يرجع إلى البيت، بل مضى إلى مكان أبعد.

حينذاك بدأ الصبيان بإعداد العدة للذئاب، وأشار الصبي البري - الساحر -إلى أخيه ما يفعل. ركضا حول البيت ضمن دائرة واسعة حتى كونا خطاً يحيط به سوى عند الجهة التي قد يأتي الذئاب منها، حيث تركوا مساحة صغيرة مفتوحة. ثم صنعا أربع حزم كبيرة من الأسهم ووضعوها عند أربع نقاط مختلفة خارج الدائرة، بعد ذلك تخفيا بين الأشجار وانتظرا الذئاب.

Twitter: @ketab_n

وبعد يوم أو يومين أطلت مجموعة كبيرة من الذئاب وحاصرت البيت لكي تقتل الصبيين. لم تلاحظ الذئاب وجود الخط حول البيت، لأنها عبرت من خلال المساحة التي تركها الصبيان، وفي اللحظة التي دخلت فيها قلب الدائرة تحول الخط إلى سياج أجمة عال احتجزهم في داخله. ثم تناول الصبيان في الخارج أسهمهما وشرعا بإطلاقها إلى الأسفل، ولأن الذئاب كانت عاجزة عن القفز من فوق السياج فقد قُتلت جميعها، ما عدا قلة منها فرت عبر الفتحة إلى مستنقع عظيم في الجوار. ركض الصبيان حول المستنقع، فانبثقت دائرة من نار في إثرهما وأضرمت النار في الأعشاب وفي الأجمات وأحرقت معظم ما تبقى من الذئاب التي لم ينج منها سوى اثنين أو ثلاثة، ومنها تتحدر جميع الذئاب التي في العالم اليوم.

بعد ذلك بوقت قصير جاء بضعة غرباء من مكان بعيد، ممن سمعوا أن للأخوين محصول حبوب مدهش يصنعون منه الخبز، ليطلبوا الحصول على شيء منه، إذ لم يكن أحد من قبل سوى سيلو وعائلتها قد عرف الذرة. أعطاهم الصبيان سبعة حبوب من الذرة، وقالوا لهم أن يزرعوها وهم في طريقهم إلى ديارهم في الليلة القادمة، وأن يسهروا طوال الليل

Twitter: @ketab_n

لمراقبتها، إذ ستصير في الصباح سبعة أكواز يانعة. فعليهم أن يزرعوا هذه الأخيرة في الليلة التالية ويراقبوها بالطريقة عينها، وعلى هذا المنوال في كل ليلة إلى أن يبلغوا الديار، حيث سيكون لهم حينذاك ما يكفي من الذرة لسد حاجة شعب بأكمله. ذهب الغرباء واستغرقت رحلتهم سبعة أيام. أخذوا الحبوب السبع وراقبوا في الظلام حتى انبلاج الصبح، إذ شاهدوا حينها سبعة سيقان طويلة تحمل كل واحدة منها كوزاً يانعاً من الذرة. جمعوا الأكواز ومضوا في طريقهم. وفي الليلة التالية زرعوا كل الذرة التي معهم، وحرسوها كما من قبل حتى انبلاج الصبح، حين وجدوا زيادة وافرة. غير أن الطريق كان طويلاً والشمس حارة، فغدوا متعبين. وفي الليلة الأخيرة قبل بلوغهم الديار خروا نائمين، وفي الصباح لم تبرعم حتى الذرة التي زرعوها. جلبوا معهم إلى قريتهم ما تبقى معهم من ذرة وزرعوه، وبعناية وانتباه تمكنوا من إنبات محصول. وقد باتت الذرة منذ ذلك الحين تتطلب المراقبة والعناية على مدى نصف عام، بعد أن كانت فيما مضى تنمو وتينع في ليلة واحدة.

Twitter: @ketab_n

حين لم يرجع «كاناتي»، ارتأى الصبيان أخيراً أن يذهبا بحثاً عنه. أخذ الصبي البري عجلة لَعِبٍ ودحرجها نحو البلاد المظلمة. ببرهة قصيرة تدحرجت العجلة عائدة، وأدرك الصبيان أن والدهما لم يكن هناك. ثم دحرجها إلى الجنوب، فإلى الشمال، وفي كل مرة كانت العجلة ترجع إليهما، فأدركا أن والدهما ليس هناك. حينئذ قام بدحرجة العجلة إلى بلاد الشمس، ولم ترجع. فقال الصبي البري: «والدنا هناك، فلنذهب ونعثر عليه».

هكذا انطلق الصبيان نحو الشرق، وبعد سفر طويل فاجآ «كاناتي» الذي كان يسير وإلى جانبه كلب صغير. قال لهما: «أيها الصبيان الشريران، هل جئتما إلى هنا؟».

«أجل، نحن على الدوام نُتم ما نبدأ به - نحن رجلان».

«منذ أيام أربعة وهذا الكلب يلحق بي»، قال لهما «كاناتي» بعد ذلك، غير أنهما أدركا أن ذاك الكلب لم يكن سوى العجلة التي أرسلاها في أثره كي تعثر عليه. قال «كاناتي»: «حسناً، بما أنكما عثرتما علي، يمكن لنا أيضاً أن نسافر معاً، لكن أنا أتولى القيادة».

Twitter: @ketab_n

سرعان ما بلغوا مستنقعاً، وقال «كاناتي» لهما إن ثمة شيئاً خطيراً هناك عليهما اجتنابه. مضى الرجل مبتعداً، وما إن غاب عن النظر حتى قال الصبي البري لأخيه: «فلنرَ ماذا هنالك في المستنقع».

خاضا في المستنقع معاً، وفي وسطه وجدا نمراً ضخماً نائماً. استل الصبي البري سهماً ورمى به النمر مصيباً جهة من رأسه. أدار النمر رأسه ورماه الصبي الآخر مصيباً تلك الجهة. ثم استدار برأسه مجدداً ورما الصبيان أسهمهما معاً – توست توست توست! غير أن النمر لم يصب بمكروه جراء الأسهم ولم يعد يكترث بالصبيين. خرج الأخيران من المستنقع ليجدا، بعد وقت قصير، «كاناتي» بانتظارهما. سألهما: «هل وجدتماه؟» .

قالا: «أجل، وجدناه لكنه لم يؤذنا البتة. إننا رجلان». بدا «كاناتي» متفاجئاً، غير أنه لم يقل شيئاً، ومضوا من جديد.

بعد برهة التفت إليهما وقال: «الآن عليكما الانتباه. إننا نمضي إلى قبيلة تدعى الـ أنادا دونتاسكي («الشواوُون»)، وهم من أكلة لحوم البشر)، وهؤلاء إن أمسكوا بكما فسوف يضعونكما في قدر ويولمون عليكما». ثم مضى الرجل. وذهب الولدان بعد ذلك إلى شجرة كان قد ضربها البرق وأشار الصبي البري إلى أخيه

Twitter: @ketab_n

أن يجمع من الشجرة بعض شظاياها وقال له ما يفعل بها. بعد ذلك بقليل بلغا قرية أكلة لحوم البشر الذين، ما إن رأوا الصبيين، حتى هموا راكضين صائحين: «يا للفأل الحسن، لدينا غريبان جميلان وسمينان. يمكننا الآن إقامة وليمة كبرى!». أمسكا بالصبيين واقتادوهما إلى دار البلدة، ورفعوا الصوت لجميع أهل القرية كي يأتوا للوليمة. أوقدوا ناراً عظيمة، وملأوا قدراً كبيرة بالماء وتركوها تغلي، ثم أمسكوا الصبي البري ووضعوه فيها. لم يكن أخوه خائفاً كثيراً، كما لم يقم بأي محاولة للهرب، بل جثا على ركبتيه بهدوء وراح يضع الشظايا في النار كأنه يزكيها. حين ظن أكلة لحوم البشر أن اللحم نضج رفعوا القدر عن النار، وفي تلك اللحظة عينها ضرب برق ساطع دار البلدة وراح يثب من جهة إلى أخرى، ضارباً أكلة لحوم البشر حتى أفناهم جميعاً. ثم ارتفع البرق عبر المدخنة، وإثر ذلك ظهر الصبيان خارج دار البلدة وكأن شيئاً لم يحصل. ومضيا في سبيلهما وما لبثا أن التقيا «كاناتي»، الذي بدا متفاجئاً جداً من رؤيتهما، وقال: «ماذا! أنتما هنا من جديد؟».

«أوه، أجل، نحن لا نستسلم البتة. نحن رجلان عظيمان!».

«ماذا فعل بكما أكلة لحوم البشر؟».

Twitter: @ketab_n

«لقد التقيناهم وأخذونا إلى دار بلدتهم، إلا أنهم لم يؤذوننا قط». لم يقل «كاناتي» شيئاً آخر، ثم مضوا.

سرعان ما اختفى «كاناتي» عن أعين الصبيين، لكنهما أكملا حتى بلغا نهاية العالم، حيث تختفي الشمس. حين وصلا إلى هناك كانت السماء منخفضة، لكنهما انتظرا حتى عاودت الارتفاع، ثم هما بالدخول وتسلقا إلى الجهة الأخرى. هناك وجدا «كاناتي» وسيلو جالسين معاً. أحسن الزوجان الكبيران استقبالهما وكانا سعيدين برؤيتهما، إذ قالا لهما إن بإمكانهما البقاء معهما لبعض الوقت، لكن بعد ذلك عليهما الرحيل للعيش حيث تغيب الشمس. أقام الصبيان مع والديهما سبعة أيام ثم غادرا نحو البلاد المظلمة، حيث هما الآن. ونحن نسميهما أنيسغا يا تسونسدي (الرجلان الصغيران)، وحين يكلم واحدهما الآخر فإننا نسمع رعداً خفيضاً يطوف ناحية الغرب.

بعد أن أخرج صبيا «كاناتي» الغزلان من الكهف الذي أودعها فيه والدهما، ارتحل الصيادون في الغابات لوقت طويل من غير أن يعثروا على أي طريدة، فكان أن جاع الناس كثيراً. أخيراً سمعوا أن صبيا الرعد باتا الآن يعيشان في أقصى الغرب، خلف باب الشمس، وأنهما قد يعودان بالطرائد لو تم إرسالهما

Twitter: @ketab_n

في سبيل ذلك. هكذا بعثوا رُسُلاً يطلبونهما، فجاء الصبيان وجلسا في وسط دار البلدة وشرعا بالغناء.

مع الأغنية الأولى كان ثمة صوت هادر كمثل ريح قوية في الشمال الغربي، وقد علا هديره واقترب كلما مضى الصبيان في غنائهما، حتى خرج من الغابات، مع الأغنية السابعة، قطيع كامل من الغزلان يقوده وعل كبير. كان الصبيان قد طلبا من الناس أن يستعدوا بأقواسهم وسهامهم، وحين انتهت الأغنية وكانت جميع الغزلان قد اقتربت من دار البلدة، رماها الصيادون بسهامهم وقتلوا ما يحتاجون إليه منها قبل أن يتمكن القطيع من العودة إلى الغابة.

بعد ذلك عاد صبيا الرعد إلى البلاد المظلمة، إلا أنهما وقبل أن يغادرا قاما بتلقين الناس الأغنيات السبع التي تُستدعى بها الغزلان. لقد حدث ذلك منذ زمن بعيد جداً، إذ أن الأغنيات نُسيت الآن – كلها ما عدا اثنتان – ما زال الصيادون يشدون بهما كلما طاردوا غزالاً.

Twitter: @ketab_n

الحكاية نفسها بحسب واهينوهي[1]

بعد أن برز العالم من تحت الماء، «قاموا حينذاك بصنع رجل وامرأة وقادوهما إلى طرف الجزيرة. وحين وصلوا إلى مكان البداية قاموا بزرع بعض الذُرة، وطلبوا من الرجل والمرأة الذهاب في الطريق التي قادوهما بها. وهذا ما فعلاه، وخلال عودتهما وجدا الذُرة قد ارتفعت ونمت على نحو حسن. وثم طُلب منهما متابعة تجوالهما الدوري. وكل رحلة كانت تستهلك مزيداً من الوقت، حتى أينعت الذرة في النهاية وباتت في متناولهم».

وهناك قصة أخرى تروى عن نشوء الخطيئة في العالم. تقول: أنشأ رجل وامرأة عائلة كبيرة من الأطفال برفاهية ويسر، ومن دون عناء يذكر في تأمين الطعام لهم. كان الرجل يذهب كل صباح ويعود بعد وقت قصير جالباً معه غزالاً أو ديكاً رومياً أو بعض الحيوانات الأخرى أو الطيور. في الوقت عينه كانت الأم

(1) هي لوسي لويري هوت كايز من نساء الشيروكي البارزات، عاشت في أوكلاهوما في القرن الثامن عشر، وقد كتبت مخطوطاً عن حكايات الشيروكي وأساطيرهم نشره «مكتب علم الأعراق الأمريكي» في العام 1889 وقد استفاد منه جامع هذه الحكايات هذه «موني» في مواضع كثيرة (م).

Twitter: @ketab_n

تخرج وتعود بعد وقت قصير بسلة كبيرة مملوءة بأكواز الذرة التي كانت تقشرها وتطحنها بواسطة الهاون، فتصنع بذلك دقيقاً للخبز.

عندما كبر الأطفال، رأوا سهولة تأمين الطعام على هذا النحو، فراحوا يتحدثون فيما بينهم عن الأمر، متسائلين عن تلك الأشياء التي كان يحضرها أهلهم والتي لم يكونوا قد شاهدوها من قبل. في النهاية اقترح أحدهم أن يراقبوا والديهما ويروا ماذا يفعلان كلما خرجا.

وهكذا مضوا في ذلك في الصباح التالي. أولئك الذين لحقوا بالوالد شاهدوه يقف على مقربة من الكوخ ويرفع حجراً كبيراً بدا مسنوداً بغير إحكام على حجر آخر. حين نظروا من كثب رؤوا مدخل كهف كبير، وفيه توجد أنواع مختلفة من الحيوانات والطيور كتلك التي كان يجلبها والدهم أحياناً للطعام. ونادى والدهم من المدخل غزالاً كان مستلقياً خلف بعض الحيوانات. فنهض الغزال حالاً حين سمع النداء وتقدم منه. هم الرجل بحمله ثم أقفل الكهف وعاد، وذلك من غير أن يبدو عليه على الفور أنه اشتبه بما فعله أبناؤه.

Twitter: @ketab_n

عندما ابتعد الرجل الكبير عن النظر تماماً، قام أبناؤه، الذين أبهجهم كيف أنهم خدعوه، بمغادرة مخبأهم وتوجهوا إلى الكهف، قائلين إنهم سوف يثبتون لمن هم أكبر منهم سناً أن باستطاعتهم أيضاً الإتيان بالطعام. أزاحوا الحجر رغم ثقله البالغ، وكان عليهم أن يستعينوا بكل قواهم المتضافرة. وحين فُتح الكهف قامت الحيوانات جميعها، وبدلاً من أن تنتظر إلقاء القبض عليها، بالاندفاع نحو المدخل، واثبة، ومجتازة الأولاد الخائفين المرتبكين، وتفرقت في كل الاتجاهات واختفت في البرية، فيما وقف المنتهكون المذنبون عاجزين عن فعل شيء سوى التحديق بدهشة خرقاء وهم يشاهدونها تفر. كان هناك حيوانات من كل الأنواع، الكبير والصغير من الجواميس والغزلان والأيائل والظبيان والراكون والسناجب، وحتى قطط الجبل والنمور والذئاب والثعالب، وغيرها الكثير، وقد غادرت جميعها. وفي الوقت عينه شوهدت الطيور بكافة أنواعها – ديوك الرومي والإوز والتَم والبط والسمان والنسور والصقور والبوم – تخرج من الفتحة على النحو الفوضوي والوحشي ذاته الذي خرجت به ذوات الأربع.

Twitter: @ketab_n

أما أولئك الذين لحقوا بالأم، فقد شاهدوها تدخل كوخاً صغيراً لم يروه من قبل، وتقفل الباب خلفها. وقد وجد الآثمون شقاً صغيراً اختلسوا النظر من خلاله. فرأوا المرأة تضع سلتها أرضاً وتقف فوقها وتهز نفسها بقوة، قافزة صعوداً ونزولاً. ثم أخذت أكواز كبيرة من الذرة تسقط في السلة. حين امتلأت السلة لآخرها رفعتها ووضعتها على رأسها وخرجت، أقفلت الباب، وذهبت لتعد الفطور كالمعتاد. عندما رُفعت المائدة خاطب الرجل أبناءه بهدوء قائلاً لهم إنه علم بما فعلوه وإن عليه أن يموت الآن وإنهم باتوا مجبرين على تدبير عيشهم بأنفسهم. فصنع لهم أقواساً وسهاماً، ثم أرسلهم لصيد الحيوانات التي كانوا قد أطلقوها.

بعد ذلك قالت لهم الأم إنه لم يعد في وسعها فعل شيء لهم إذ اكتشفوا سرها وإنها سوف تموت، وعليهم جر جسدها حول قطعة من الأرض، وسوف تنبت الذرة في كل موضع يجر فوقه جسدها. ومن ذاك سوف يصنعون خبزهم. قالت لهم إنه ينبغي عليهم دوماً حفظ بعض البذور وزرعها في كل عام.

Twitter: @ketab_n

أصل المرض والدواء

في الأيام الغابرة كان بإمكان الوحوش والطيور والأسماك والحشرات والنباتات أن تتكلم، وقد عاشت هي والبشر معاً بسلام ومودة. لكن مع مرور الزمن تزايدت أعداد البشر بسرعة كبيرة حتى انتشرت قراهم بطول الأرض وعرضها، ووجدت الحيوانات المسكينة نفسها وقد بدأت تُزاحم على المكان. كان ذلك سيء بما فيه الكفاية، لكن ليزيد البشر الأمر سوءاً اخترعوا الأقواس والسكاكين وبنادق النفخ والرماح وصنانير الصيد، وشرعوا بقتل الحيوانات الأكبر والطيور والأسماك من أجل لحمها أو جلدها، فيما سحقت المخلوقات الأصغر، كالضفادع والديدان، ووُطِئت من دونما انتباه، ونتيجة ازدراء أو لامبالاة خالصة. فقررت الحيوانات التشاور لاتخاذ تدابير تتعلق بسلامتها المشتركة.

كانت الدببة أول من اجتمعت في مجلس ضمها في دار بلدتها في أسفل جبل كوواهي، «موطن التوت»، وقد ترأس الاجتماع

Twitter: @ketab_n

زعيمها الدب الأبيض الكبير. وبعد أن أدلى كل واحد من الدببة بدلوه معبراً عن استيائه من الطريقة التي يقتل بها البشر أصدقاءها ويأكلون لحومها ويستخدمون جلودها لأغراضهم الخاصة، قرروا الشروع فوراً بحرب ضدهم. وسأل أحد الدببة عن نوع الأسلحة التي يستخدمها البشر لتدميرها.

أجاب الدببة معاً: «الأقواس والسهام طبعاً».

كان السؤال التالي: «ومم تُصنع تلك الأقواس والسهام؟».

أجاب أحد الحاضرين: «القوس من الأغصان، والوتر من أمعائنا نحن». حينذاك اقترح بعضهم صنع قوس وبعض السهام للتأكد من إمكانية استعمال الأسلحة نفسها ضد البشر. فأحضر دبٌ غصناً جميلاً من شجرة خرنوب وقدّم دب آخر نفسه فداء للمجموعة وذلك بتزويدها بقطعة من أمعائه لصنع وتر. لكن حين هُيئ كل شيء وهَم الدب الأول بالقيام بالتجربة، لوحظ أنه مع إطلاق السهم بعد شد القوس إلى الخلف، علقت مخالب الدب الطويلة بالوتر وأفسدت الرمي. وبدا الأمر مزعجاً، إلا أن أحد الدببة اقترح تقليم مخالبه، وهكذا تم، وفي التجربة الثانية لوحظ أن السهم انطلق مباشرة نحو الهدف. إلا أن الزعيم، الدب الأبيض الكبير، اعترض حينذاك قائلاً إنه من الضروري

Twitter: @ketab_n

أن تكون للدببة مخالب طويلة كي تتمكن من تسلق الأشجار. وأضاف: «لقد قضى أحدنا للتو لكي يمدنا بوتر القوس، فإن قمنا الآن بتقليم مخالبنا، سنموت جميعاً من الجوع. يستحسن الاتكال على الأسنان والمخالب التي منحتنا إياها الطبيعة، إذ من الجلي أن أسلحة الإنسان ليست لنا».

لا لم يستطع احد التفكير بخطة أفضل، ففض الزعيم الكبير المجلس وتفرقت الدببة في الغابات والأجمات من دون الاتفاق على طريقة تحد من تزايد الجنس البشري. ولو جاء اجتماع المجلس ذاك بنتيجة معاكسة، لكنا الآن في حرب مع الدببة، إلا أنه والحال كما هو، فإن الصياد لا يطلب حتى الصفح من الدب حين يقتله.

بعد ذلك عقدت الغزلان مجلساً برئاسة زعيمها، الغزال الصغير، وقررت إثر نقاش سريع إرسال داء المفاصل لكل صياد يقتل واحداً منها إلا في حال سعى الصياد إلى طلب الصفح منها على عدوانه. أرسلت الغزلان إشعاراً بقرارها إلى أقرب قرية للهنود، كما أخبرتهم في الوقت عينه، بما ينبغي أن يفعلوه حين تجبرهم الحاجة على قتل واحد من قبيلة الغزلان. الآن، كلما رمى الصياد غزالاً، يعدو الغزال الصغير، السريع كما الريح والعصي

Twitter: @ketab_n

على الإصابة، فيهرع بسرعة إلى موقع الصيد، وينحني فوق بقع الدماء ويسأل روح الضحية إن سمعت صلاة الصفح من الصياد. إن كان الجواب «نعم»، يمضي كل شيء على ما يرام، ويذهب الغزال الصغير في سبيله، أما إن كان الجواب «لا»، فإنه يتعقب الصياد، مهتدياً ببقع الدم على الأرض، حتى يبلغ كوخه في القرية، حينها يدخل بخفاء ويضرب الصياد بداء المفاصل ليغدو في الحال مشلولاً عاجزاً. وما من صياد تهمه عافيته يُغفل طلب الصفح من الغزال لقتله إياه، برغم أن بعض الصيادين، ممن لم يتعلم صلاة الصفح قد يحاول إبعاد الغزال الصغير عن مطاردته من خلال إشعال النار خلفه على الطريق.

ثم اجتمعت الأسماك والزواحف المنزعجة بصورة خاصة من البشر، وقررت جعل ضحاياها يحلمون بأفاعٍ تلتف حولهم وتنفث نفساً كريهاً في وجوههم، أو أن تجعلهم يحلمون بأكل سمك نيء أو فاسد، فيفقدون حينذاك الشهية، ويمرضون ويموتون. لهذا السبب يحلم الناس بالأفاعي والأسماك.

أخيراً جاءت العصافير والحشرات والحيوانات الصغيرة واجتمعت للغاية ذاتها، وكانت دودة الأرض زعيمة المجلس. واتخذ القرار بأن يقوم كل منها بدوره بإبداء الرأي، من ثم يجري

Twitter: @ketab_n

التصويت على سؤال إن كان البشر مذنبين أم لا. وسبعة أصوات ستكون كافية لإدانة البشر. واحد تلو الآخر شجب وحشية البشر وجورهم تجاه الحيوانات الأخرى وصوتوا جميعاً على موت البشر. تكلم الضفدع في البداية، قائلاً: «علينا فعل شيء لكبح زيادة جنسهم، وإلا سيغدو الناس كثراً جداً فنزول جميعاً عن الأرض. انظروا كيف طردوني لأني بشع، كما يقولون، حتى غطت ظهري القروح»، وعندئذ عرض البقع التي على جلده.

ثم جاء من بعده طائر - لا أحد الآن يذكر أي طائر كان -دان البشر «لأنهم أحرقوا قدمي بالكامل»، قاصداً الطريقة التي يشوي بها الصياد الطيور غارزاً فيها عوداً يثبتها فوق النار، مما يحرق ريشها وأقدامها تماماً. وتابع الآخرون على هذا المنوال. وكان سنجاب الأرض وحده من غامر في قول شيء حسن عن البشر الذين نادراً ما يؤذونه لأنه صغير جداً، إلا أن ذاك أغضب الآخرين بشدة فانقضوا على سنجاب الأرض ومزقوه بمخالبهم، وما زالت الخطوط ظاهرة على ظهره حتى يومنا هذا.

بعد ذلك شرعت في اختراع وفرة من الأمراض الجديدة وفي إطلاق الأسماء، واحداً تلو الآخر، إذ لو لم توهنها اختراعاتها تلك في النهاية، لما استطاع واحد من الجنس البشري النجاة.

Twitter: @ketab_n

وقد أخذت دودة الأرض تزداد سروراً على نحو مستمر كلما اخترع اسم مرض جديد، إلى أن بُلغت نهاية اللائحة، فاقترح أحدها أن يُجعل الطمث في بعض الأحيان مهلكاً للنساء. حينذاك نهضت دودة الأرض من مكانها وصاحت: «وادان!» (شكراً!) يسعدني موت المزيد منهم، لأنهم يزدادون اكتنازاً ويدوسونني». تلك الفكرة جعلت دودة الأرض تلتوي من الفرح، فانقلبت على ظهرها ولم يعد بوسعها النهوض على أرجلها مرة أخرى، بل بات عليها الالتواء بانحراف على ظهرها، كما تفعل منذ ذلك الحين.

حين علمت النباتات، التي كانت صديقة للبشر، بما قامت به الحيوانات، قررت أن تهزم خطط الأخيرة الموصوفة بالشر. كل شجرة وجَنْبَة وعشبة، وصولاً إلى الحشائش والطحالب، وافقت على تأمين العلاج لأحد الأمراض المسماة، وقد قال كل منها: «سوف أظهر لمساعدة البشر حين يطلبونني لحاجاتهم». هكذا جاء الدواء، والنباتات التي لكل واحد منها منفعة تتيح مواجهة كل شر صنعته الحيوانات المنتقمة. حتى الطحالب جُعلت لغرض مفيد، ولكن ينبغي علينا اكتشافه بأنفسنا. عندما لا يدرك الطبيب أي دواء يصف لإنسان مريض فإن روح النبات تعلمه.

Twitter: @ketab_n

ابنة الشمس

عاشت الشمس في الجهة الأخرى من قنطرة السماء، غير أن ابنتها عاشت وسط السماء، فوق الأرض تماماً، وفيما كانت الشمس في كل يوم تتسلق نحو الغرب على طول العقد السماوي كانت تتوقف لتناول الغداء في منزل ابنتها.

وكانت الشمس تكره أهل الأرض، لأنهم لا يستطيعون قط النظر إليها من دون أن يقطبوا وجوهم. فقالت الشمس لأخيها القمر: «أحفادي قبيحون، فهم حين ينظرون إلي تعلو التكشيرة وجوههم».

لكن القمر قال: «أحب أخوتي الأصغر، فهم غاية في الجمال»، وهذا لأنهم دائماً يبتسمون بسرور حين يرونه ليلاً، وذلك لاعتدال أشعته.

شعرت الشمس بالغيرة وخططت لقتل جميع الناس، فكانت في كل يوم إذ تقترب من منزل ابنتها ترسل إلى الأسفل أشعة متقدة

Twitter: @ketab_n

وقد تسببت تلك الأشعة بحمى عظيمة أماتت الناس بالمئات، حتى فَقَد كل واحد منهم بعض أهله وأصدقائه وعم الخوف من ألا يبقى أحدٌ منهم على قيد الحياة. فذهب الناس لطلب المساعدة من الرجال الصغار الذين قالوا لهم إن الطريقة الوحيدة لإنقاذ أنفسهم هي قتل الشمس.

حضر الرجال الصغار دواء وحولوا رجلين منهم إلى أفعوين، الأفعى الرنانة (ذات الأجراس) والأفعى النحاسية الرأس، وأرسلوهما للمراقبة قرب باب منزل ابنة الشمس ولتلسعا الشمس الكبيرة عندما تأتي في اليوم التالي. مضى الأفعوان معاً وانتظرتا قرب المنزل إلى أن جاءت الشمس، لكن حين أوشكت ذات الأجراس على الوثب، أعمى بصرها ضوء ساطع فلم تقو إلا على لفظ مادة لزجة صفراء، كما لا تزال تفعل إلى اليوم حين تحاول اللسع. وقد شتمتها الشمس وأكملت طريقها إلى المنزل، أما ذات الرأس النحاسي فانسحبت من دون محاولة القيام بأي أمر.

هكذا استمر الناس بالموت من الحر، وذهبوا إلى الرجال الصغار مرة أخرى لطلب المساعدة. مجدداً حضر هؤلاء دواء وحولوا رجلاً منهم إلى أفعى الأوكتينا العظيمة وحولوا آخر إلى

Twitter: @ketab_n

الأفعى المجلجلة وأرسلوهما للمراقبة قرب المنزل لكي تقتلا الشمس الكبيرة عندما تأتي للغداء. جعلا الأوكتينا ضخمة الحجم وبقرنين على رأسها، واعتقد الجميع أنها ستنفذ المهمة بكل تأكيد، غير أن الأفعى المجلجلة كانت سريعة جداً ومندفعة فسبقت رفيقتها ومكثت ملتفة على نفسها قرب المنزل، وحين فتحت ابنة الشمس الباب لكي تتفقد أمها، وثبت المجلجلة عليها ولسعتها فسقطت صريعة عند باب البيت. إلا أن المجلجلة نسيت انتظار الكبيرة وطفقت عائدة إلى الناس، فغضبت الأوكتينا غضباً شديداً وقررت العودة بدورها. منذ ذلك الحين ونحن نصلي للأفعى المجلجلة ولا نقتلها، لأنها ودودة ولا تحاول اللسع إن لم نستفزها. تزايد غضب الأوكتينا وخطرها على مدى الوقت، فباتت إذا ما نظرت إلى رجل مجرد نظرة، فإن عائلة هذا الرجل تواجه الموت. بعد مضي وقت طويل عقد الناس مجلساً وقرروا أن المجلجلة أخطر من أن يحتمل وجودها معهم، فأرسلوها إلى «غالونلاتي»، وها هي الآن هناك. ذات الأجراس والنحاسية الرأس والأفعى المجلجلة، كما الأوكتينا، جميعها كانت من الرجال.

Twitter: @ketab_n

حين عثرت الشمس على ابنتها ميتة، دخلت إلى البيت وأخذت تنتحب، وما عاد الناس يموتون، بل غرق العالم بالظلام طوال الوقت، لأن الشمس لم تعد راغبة في الخروج. ذهبوا إلى الرجال الصغار مرة أخرى، فقال لهم هؤلاء إنهم إذا أرادوا من الشمس أن تخرج من جديد عليهم استعادة ابنتها من «تسوسغيناي»، بلاد الروح، في «أوس أونهي ياي»، الأرض المظلمة في الغرب. اختاروا سبعة رجال للذهاب إلى هناك، وأعطوا كل واحد منهم عوداً من شجرة الحامض طولها بعرض اليد. وقال لهم الرجال الصغار أن يأخذوا معهم صندوقاً، وحال وصولهم إلى «تسوسغيناي» سوف يجدون الأرواح جميعها ترقص. فعليهم البقاء خارج الدائرة، وحين تمر المرأة الشابة في حلقة الرقص عليهم ضربها بأعوادهم فتسقط أرضاً. ثم عليهم وضعها في الصندوق والعودة بها إلى أمها، لكن عليهم أن يحرصوا تماماً على عدم فتح الصندوق، حتى ولو قليلاً، إلى أن يصيروا في البيت مجدداً.

أخذوا الأعواد والصندوق وسافروا سبعة أيام نحو الغرب حتى بلغوا أرض الظلام. هناك كان ثمة عدد عظيم من الناس، وكانوا يرقصون كما يرقص الناس بديارهم في القرى. وكانت

Twitter: @ketab_n

الصبية في الدائرة الخارجية، وحين أخذت تقترب متمايلة إلى حيث يقف الرجال السبعة، ضربها أحدهم بعوده فاستدارت برأسها نحوه ورأته. وحين اقتربت للمرة الثانية مسها رجل آخر بعوده، ثم مسها الرجل التالي والذي تلاه، حتى بلغت الدورة السابعة وسقطت المرأة خارج الحلقة، فوضعوها في الصندوق وأقفلوا الغطاء بسرعة. وبدت الأرواح الأخرى غافلة تماماً عما حصل.

حملوا الصندوق وانطلقوا إلى الديار نحو الشرق. بعد برهة عادت الفتاة إلى الحياة من جديد وتضرعت أن يخرجوها من الصندوق، إلا أنهم لم يجيبوا وأكملوا طريقهم. بعد برهة أخرى عادت وتكلمت طالبة شربة ماء واستغاثت على نحو يوجع القلب، لكن ظل الرجال الذين يحملون الصندوق صامتين وأكملوا طريقهم. وفي النهاية حين باتوا قريبين جداً من البيت، خاطبتهم من جديد واستعطفتهم أن يرفعوا الغطاء قليلاً، لأنها تشعر بالاختناق. تملكهم الخوف من أن تموت، فقاموا برفع الغطاء قليلاً لتزويدها بالهواء، لكن ما إن فعلوا ذلك حتى دوى صوت مرتعد من الداخل وتجاوزهم شيء يطير نحو الدغل وسمعوا صياح الطائر الأحمر: «كويش! كويش! كويش!»

Twitter: @ketab_n

في الأجمات. أقفلوا الغطاء وأكملوا طريقهم من جديد إلى القرى، لكنهم حين وصلوا إلى هناك وفتحوا الصندوق وجدوا الأخير فارغاً.

هكذا نعلم أن الطائر الأحمر هو ابنة الشمس، وأنه لو قام الرجال السبعة بإبقاء الصندوق مقفلاً، مثلما أوصاهم الرجال الصغار، لكانوا أعادوها آمنة إلى الديار، ولكان بوسعنا حينذاك استعادة أحبائنا الآخرين من بلاد الأرواح، أما الآن فإننا لا نستطيع استعادتهم البتة.

كانت الشمس قد سُرت حين انطلقوا إلى بلاد الأرواح، لكنها، إذ عادوا من دون ابنتها، ناحت وصاحت: «ابنتي، ابنتي»، وبكت حتى فاضت دموعها على الأرض، فخاف الناس من أن يغرق العالم. وعقدوا مجلساً آخر، وأرسلوا شبانهم وشاباتهم الأكثر وسامة للترفيه عنها علها تكف عن البكاء. فرقصوا وغنوا لها أجمل الأغنيات، لكنها حجبت وجهها طويلاً ولم تكترث، حتى قام طبال في النهاية، بغتة، إذ رفعت رأسها، بتغيير الأغنية، فسُرت كثيراً بما رأت ونسيت آلامها، وابتسمت.

Twitter: @ketab_n

كيف استعاد الهنود التبغ؟

في بداية الخليقة، حين لم يكن ثمة فارق بين الناس والحيوانات، كانت هناك نبتة تبغ واحدة فقط، يقصدها الجميع للتزود بالتبغ، إلى أن سطت عليها إوزة الـ داغول كو وحملتها إلى مكان بعيد في الجنوب. أخذ الناس يتعذبون من دونها، وكان هناك امرأة عجوز راحت تهزل وتضعف حتى توقع الجميع موتها العاجل إن لم تحصل على تبغ يبقيها على قيد الحياة.

وقد عرضت حيوانات عدة الذهاب لاستعادتها؛ في البداية الحيوانات الأكبر ثم الأصغر، لكن الداغول كو اكتشفت أمرها وقتلتها جميعاً قبل أن يصل أحدها إلى النبتة. بعد ذلك حاول الخُلد الصغير الوصول إليها عبر الذهاب في باطن الأرض، إلا أن الداغول كو اكتشفت طريقه وقتلته ما إن هم بالخروج.

أخيراً عرض الطائر الطنان الذهاب بنفسه، لكن الآخرين قالوا إنه بالغ الصغر ويجدر به البقاء في البيت. فتوسلهم أن يسمحوا له بالمحاولة، فأشاروا عليه إلى نبتة في الحقل وطلبوا منه

Twitter: @ketab_n

أن يريهم كيف سيذهب لجلبها. في اللحظة التالية كان قد ذهب وشاهدوه يحط على النبتة وعاد في غضون لحظة واحدة، ولم يشاهد أحد منهم ذهابه وإيابه، إذ كان بالغ السرعة. وقال الطائر الطنان: «على هذا النحو سأتصرف». فسمحوا له بالمحاولة.

انطلق طائراً نحو الشرق، وحين وقع التبغ في مرمى بصره كانت الداغول كو تراقب كل ما حول النبتة، غير أنها لم تتمكن من رؤيته لأنه كان شديد الصغر ويطير بسرعة هائلة. هبط منقضاً على النبتة - تسا! وانتزع رأسها بورقه وبذوره، وعاد قبل أن تتمكن الداغول كو من إدراك ما حصل. قبل وصوله إلى الديار ومعه التبغ كانت المرأة العجوز قد وهنت وظنوا أنها ماتت، لكن الطائر الطنان قام بنفث الدخان في منخريها ومع صيحة «تسا لو» (تبغ) عادت وفتحت عينيها وعاشت من جديد.

Twitter: @ketab_n

نسخة ثانية من الحكاية

في البدء كان للناس تبغ، لكنهم استهلكوه كله، وتعذبوا كثيراً في السعي للحصول عليه. كان هناك شيخ بالغ الكبر وبات بقاؤه على قيد الحياة مرتبطاً بالدخان، فقرر ابنه، الذي لم يشأ رؤيته يموت، الذهاب بنفسه لمحاولة الحصول على بعض التبغ. وكانت بلاد التبغ تقع في أقصى الجنوب، محاطة بالجبال العالية، وكانت معابرها مرصودة، مما جعل بلوغها شديد الصعوبة، إلا أن الشاب كان عرافاً ولم يتملكه الخوف. وقد سافر جنوباً حتى بلغ الجبال عند حدود بلاد التبغ. ثم فتح حقيبة السحر الخاصة به واستل جلد الطائر الطنان وتدثر به كرداء. حينذاك غدا طائراً طناناً فطار فوق الجبال نحو حقل التبغ وانتزع بعض أوراق التبغ وبذوره ووضعها في حقيبته. كان بالغ الصغر سريعاً فلم يره الحراس الكثيرون، وحين حصل على الكمية التي يستطيع حملها طار فوق الجبال عائداً على نحو ما أتى.

خلع عنه بعد ذلك جلد الطائر الطنان وأعاده إلى حقيبته، فعاد رجلاً كما كان. انطلق نحو الديار، وفي طريق عودته صادف

Twitter: @ketab_n

شجرة لها ثقب في جذعها، كمثل باب، محاذ للأغصان الأولى، وكان ثمة امرأة بالغة الجمال تطل منه إلى الخارج. فتوقف الشاب وحاول تسلق الشجرة، غير أنه ورغم براعته في التسلق، وجد أنه كل مرة يسقط عن الشجرة. فضع خفين سحريين أخرجهما من حقيبته فاستطاع حينذاك تسلق الشجرة، لكنه حين بلغ أول الأغصان نظر إلى الأعلى فرأى أن الثقب ما زال بعيداً كما كان. تسلق أعلى فأعلى، غير أنه وفي كل مرة كان ينظر فوقه كان الثقب يبدو أبعد مما كان، حتى أنهك الشاب في النهاية فنزل عائداً. حين بلغ الديار وجد والده شديد الوهن، لكن لا يزال حياً، وقد أعادت نفخة واحدة من الغليون القوة إليه من جديد. وقام الناس بزراعة البذور وحصلوا على التبغ منذ ذلك الحين.

Twitter: @ketab_n

رحلة إلى مشرق الشمس

منذ زمن بعيد ارتأى بعض الشبان العثور على المكان الذي تحيا فيه الشمس وأن يروا كيف هي تلك الشمس. قاموا بتهيئة أقواسهم وسهامهم وذرتهم المحمصة ومُقسينات[1] إضافية، وانطلقوا باتجاه الشرق. التقوا في البداية بقبائل يعرفونها، ثم مروا بقبائل كانوا قد سمعوا عنها وحسب، إلى أن بلغوا في النهاية قبائل سمعوا بها للمرة الأولى.

كان ثمة قبيلة من أكلة الجذور وأخرى من أكلة البلوط، حيث انتشرت أكوام من قشور البلوط على مقربة من بيوتهم. ووجدوا في إحدى القبائل رجلاً يموت، وقيل لهم إنه حين يموت رجل هناك فإن العادات تقضي بأن تدفن زوجته معه في القبر ذاته. انتظروا إلى أن مات الرجل، إذ شاهدوا حينذاك أصدقاءه ينزلون الجسد في حفرة عظيمة، بالغة العمق ومعتمة فتعذر عليهم من هناك من الأعلى مشاهدة قعرها. بعد ذلك ربط حبل حول

(1) المُقسين هو حذاء لا كعب له مصنوع من جلد ناعم يشتهر به السكان الأصليون في أمريكا الشمالية (م).

Twitter: @ketab_n

جسد المرأة، ورزم من أوراق الصنوبر، كما وضعت أوراق صنوبر مشتعلة في يدها، ثم أنزلت المرأة إلى الحفرة لتموت في العتمة فيها بعد أن تحترق آخر أوراق الصنوبر تلك.

مضى الشبان في سفرهم حتى بلغوا في النهاية إلى مشرق الشمس حيث تنخفض السماء نحو الأرض. وجدوا السماء وقد كانت قنطرة أو عقداً من الصخر الصلب معلقة فوق الأرض وكانت تتأرجح صعوداً وهبوطاً طوال الوقت، فما إن تعلو صعوداً حتى تظهر فسحة مشرعة كمثل باب بين الأرض والسماء، وحين تميل عائدة يغلق ذاك الباب. من هذا الباب خرجت الشمس من الشرق وتسلقت على مدى القنطرة من داخلها. كان لها شكل بشري، لكن سطوعها الشديد حال دون معاينتهم الدقيقة لها كما حالت حرارتها الشديدة دون اقترابهم منها. فانتظروا إلى أن خرجت الشمس ثم حاولوا الدخول والباب لا يزال مفتوحاً، لكن ما إن خطا أولهم عبر الباب حتى هَوَت الصخرة عليه وسحقته. فخاف الستة الباقون حينذاك من المحاولة، وإذ كانوا هناك عند نهاية العالم، استداروا وانطلقوا عائدين من حيث أتوا، غير أن سفرهم كان طويلاً جداً وكانوا قد صاروا عجائز حين بلغوا الديار.

Twitter: @ketab_n

القمر والرعود

كانت الشمس امرأة فتية عاشت في الشرق، فيما عاش شقيقها القمر في الغرب. كان للفتاة عشيق اعتاد أن يأتي لمغازلتها حين يُعتم القمر في كل شهر. كان يأتي في الليل، ويغادر قبل طلوع الضوء، وعلى الرغم من محادثتها له فإنها لم تتمكن قط من رؤية وجهه في الظلام، وهو لم يخبرها باسمه، إلى أن راحت تتساءل طيلة الوقت عمن يكون. أخيراً اهتدت إلى خطة لاكتشاف ذلك، فحين جاء في المرة المقبلة، وفيما كانا جالسين معاً في الظلام، دست يدها بمكر في جمر المدفأة ورمادها ثم مسحت يدها بوجهه، قائلة له، «وجهك بارد، لابد من أن الريح عصفت بك»، وتظاهرت بالأسف لأجله، غير أنه لم يدر بالرماد الذي في يدها. بعد برهة غادرها ورحل من جديد.

في الليلة التالية حين طلع القمر في السماء كان وجهه مكسواً بالبقع، وقد علمت شقيقته حينذاك أنه هو الذي كان يأتي للقائها. تملكه الخجل الشديد من معرفتها بالأمر فكان منه أن

Twitter: @ketab_n

نأى بنفسه قدر المستطاع في أقصى الجهة الأخرى من السماء طيلة الليل. منذ ذلك الحين والقمر يحاول النأي بنفسه خلف الشمس، وحين يضطر أحياناً من الدنو منها في الغرب يجعل نفسه برقة وشاح فيكاد لا يُرى.

يقول بعض الطاعنين في السن إن القمر كرة قذفت عالياً في وجه السماء في مباراة دارت منذ زمن بعيد. يقولون إن بلدتين كانتا تتنافسان، إلا أن إحداهما ضمت العدائين الأسرع وكادت تفوز في المباراة، حين قام قائد الطرف الآخر بأخذ الكرة بيده - الأمر الذي تحظره قوانين اللعبة - وحاول رميها في المرمى، لكنها اصطدمت بعقد السماء الصلب وعلقت هناك، لتذكر من يلعب ألا يغش بتاتاً. حين يبدو القمر صغيراً وشاحباً فإن الأمر يعود إلى قيام أحد الأشخاص بأخذ الكرة بيده مخالفاً، ولهذا السبب كانوا في السابق لا يلعبون إلا عند اكتمال القمر.

عندما تنخسف الشمس أو يكسف القمر فالسبب يعود إلى أن ضفدعاً عظيماً هناك في السماء يحاول ابتلاع أحدهما. الكل يعرف هذا، بمن في ذلك الكريكيون[1] والقبائل الأخرى، وفي الأزمنة السابقة، منذ ثمانين أو مئة عام، قبل موت جميع

(1) The Creeks ربما نسبة إلى «الجدول»، واحدة من القبائل الهندية، تعد من بين «القبائل المتحضرة الخمس» (م).

Twitter: @ketab_n

السحرة العظام، فكانوا إذ يرون الشمس وقد دكنت، يتنادون لإطلاق النار من الأسلحة وقرع الطبول، ما كان يؤدي بعد برهة قصيرة، إلى إخافة الضفدع وإبعاده فتعود الشمس من جديد.

ويسمي عامة الناس الشمس والقمر باسم واحد هو «نوندا»، واحد هو «نوندا المقيم في النهار»، والآخر «نوندا المقيم في الليل»، إلا أن الكهنة يسمون الشمس سوتاليديهي، «قاتلة الستة»، ويسمون القمر غي ياغو غا، العبارة التي لا يعرف أحد معناها إلى الآن، أو سبب استخدامهم هكذا أسماء. وأحياناً يطلب الناس من القمر أن يوقف المطر والثلج.

أما الرعد العظيم وابناه، صبيا الرعد، فيعيشون في أقصى الغرب فوق عقد السماء. ويتخذون أرديتهم الجميلة من البرق وقوس قزح. ويصلي الكهنة للرعد ويسمونه الرجل الأحمر، لأن ذلك هو لون ردائه الأكثر سطوعاً. ثمة رعود أخرى تعيش هناك في موضع أكثر انخفاضاً، في المنحدرات والجبال، وتحت الشلالات، وتتنقل على جسور خفية من ذروة عالية إلى أخرى حيث تقع بلداتهم. حانية ومعطاءة هي الرعود العظيمة فوق السماء حين نصلي لها، فيما الرعود الأخرى لا تكف عن التسبب بالأذى. وعلى المرء إلا يشير إلى قوس القزح، لئلا ينتفخ الإصبع الذي يشير به.

Twitter: @ketab_n

كيف تبدو النجوم؟

تتعدد الآراء حول النجوم. فيقول بعضهم إنها كرات من ضوء، ويقول آخرون إنها بشر، غير أن معظم الناس يعتبرونها مخلوقات حية يكسوها فرو مضيء أو ريش.

وفي إحدى الليالي لاحظ جمع من الصيادين كانوا مُعسكرين في الجبل، ضوءين كمثل نجمتين كبيرتين تتحركان في البعيد على طول قمم سلسلة الجبال. فاحتار الصيادون في أمرهم وأخذوا يراقبون إلى أن غاب الضوء في الجهة الأخرى. وفي الليلة الثانية، والتي تلتها، رأوا الضوءين من جديد يتحركان على امتداد السلسلة الجبلية، فقرروا، بعد أن تباحثوا في الأمر، الذهاب صباحاً لمحاولة استكشاف سبب ذلك. وانطلقوا في الصباح وساروا حتى بلغوا سلسلة الجبال، حيث وجدوا في المكان، بعد أن بحثوا قليلاً، مخلوقين بالغي الضخامة (يشكلان دائرة إذا مدا أذرعهما)، لهما جسدان ممتلئان يكسوهما الفرو الناعم أو الزغب، فينتأ رأساهما من

Twitter: @ketab_n

ذلك كمثل رأس الحَمَسَة[1]. وحين داعب الهواء ذلك الريش انبعث منه وابل من الومضات.

حمل الصيادون المخلوقين الغريبين معهم إلى المخيم، وقد عزموا على أخذهما معهم إلى الديار. وأبقوهما معهم لأيام عديدة ولاحظوا أن بريقهما يزداد في كل ليلة فيشعان كنجمين عظيمين، على الرغم من أنهما خلال النهار لم يكونا سوى كرتين رماديتين من الفرو، إلا إذا استثارت الريح الومضات في فروهما وطيرتها. ظلا هادئين جداً ولم يخطر لأحد أنهما قد يسعيان إلى الهرب، إلى أن حلت الليلة السابعة، فنهضا عن الأرض فجأة ككرتين من نار، وسرعان ما ارتفعا فوق قمم الأشجار. وطارا أعلى فأعلى، فيما الصيادون الحائرون يراقبون، إلى أن صارا في النهاية مجرد نقطتين وامضتين من نور في السماء المظلمة، فأدرك الصيادون حينذاك أنهما نجمان.

Twitter: @ketab_n

(1) الحَمَسَة هي سلحفاة المياه العذبة (م).

أصل الثريا والصنوبر

منذ زمن بعيد، حين كان العالم فتياً، كان ثمة صبيان سبعة يقضون كل وقتهم بالقرب من دار البلدة حيث يلهون بلعبة الغاتايو ستي، مدحرجين دولاباً حجرياً فوق الأرض ومادين خلفه عصاً معقوفة لدفعه إلى الأمام. قامت أمهاتهم بتوبيخهم، لكن ذلك لم ينفع، فقامت الأمهات في أحد الأيام بجمع عدد من أحجار الغاتايو ستي ووضعنها في القدر تُطهى مع الذرة للعشاء. حين عاد الصبيان إلى البيت جائعين سكبت الأمهات الحجارة وقلن لهم: «ما دمتم تحبون الغاتايو ستي أكثر من الذرة، إليكم الآن هذي الحجارة للعشاء».

غضب الصبيان كثيراً، وذهبوا إلى دار البلدة قائلين: «لئن تعاملنا أمهاتنا على هذا النحو، فلنذهب إلى حيث لا نعود نشكل مصدر إزعاج لهن». شرعوا في رقصة - يقول بعضهم إنها كانت رقصة الريش - وأخذوا يدورون ويدورون حول دار البلدة، مصلين للأرواح لكي تساعدهم. في النهاية خافت أمهاتهم من

Twitter: @ketab_n

أن يكون قد حصل لهم مكروه فخرجن للبحث عنهم. رأين أن الصبيان ما زالوا يرقصون حول دار البلدة، ولاحظن أن أقدامهم بدأت تعلو عن الأرض، وأنها صارت تعلو أكثر فأكثر في الهواء مع كل دورة. ركضت الأمهات لجلب أبنائهن، غير أن ذلك جاء متأخراً، ذلك أن الصبيان كانوا قد ارتفعوا فوق سطح دار البلدة - جميعهم ما عدا واحد نجحت أمه بشده بواسطة عصا الغاتايو ستي، إلا أنه اصطدم بالأرض بقوة جعلته يغور فيها وقد انغلقت الأرض عليه.

أما الصبيان الستة الآخرون فحلقوا أعلى فأعلى حتى بلغوا السماء، حيث نراهم الآن كالثريا، هذي الأخيرة التي ما زال الشيروكي يسمونها آني تسوتسا (الصبيان). حزن الناس من بعدهم لوقت طويل، فيما الأم التي غار ابنها في الأرض كانت تأتي مع كل صباح ومساء لتبكي فوق موضع اختفائه حتى غدت الأرض هناك بليلة بدموعها. وقد انبثقت في النهاية نبتة صغيرة خضراء وأخذت تنمو يوماً بعد يوم إلى أن صارت شجرة باسقة نسميها الآن الصنوبرة، وهي من طبيعة النجوم ذاتها وتحوي في نفسها الضوء الساطع إياه.

Twitter: @ketab_n

درب التبانة

لدى بعض الناس في الجنوب طاحونة، يحولون ذرتهم فيها إلى دقيق، وفي صباحات عدة حين أتوا لكي يملأوها لاحظوا أن بعض الدقيق قد سرق خلال الليل. تفحصوا الأرض فوجدوا آثار قوائم كلب، فقاموا بالمراقبة في الليلة التالية، وحين وصل الكلب من الشمال وشرع في أكل الدقيق من الوعاء وثبوا عليه وجلدوه. هرب منهم نابحاً وعاد إلى دياره في الشمال، فيما كان الدقيق يسقط من فمه وهو يركض، ما خلف وراءه مساراً أبيض في الموضع الذي نرى فيه الآن درب اللبانة، هذي الأخيرة التي ما زال الشيروكي يسمونها إلى اليوم غي لاي أوتسون ستانون ياي، «حيث ركض الكلب».

Twitter: @ketab_n

أصل الفراولة

حين خلق الإنسان الأول وأُعطي زوجة، عاشا معاً بسعادة غامرة إلى حين، ثم ما لبثا أن شرعا بالتشاجر، إلى أن تركت المرأة زوجها في النهاية وانطلقت نحو نوناغون يي، أرض الشمس، في الشرق. ذهب الرجل في إثرها وحيداً حزيناً، لكن المرأة أكملت طريقها وبقيت متقدمة عليه ولم تنظر خلفها، إلى أن أشفق عليه أوني لانون هاي، مُقسم الحصص العظيم (الشمس)، وسأله إن كان لا يزال غاضباً من زوجته. قال إنه لم يعد غاضباً، فسأله أوني لانون هاي حينذاك إن كان يود عودة زوجته، فأجاب بلهفة نعم.

هكذا جعل أوني لانون هاي حقلاً من أجود أنواع التوت تنبت على طول الطريق أمام المرأة، لكن الأخيرة أكملت طريقها من دون أي اكتراث بها. ثم وبعد مسافة وضع أجمة من توت العليق، غير أنها لم تشأ الانتباه لهذه أيضاً. فوضع فواكه أخرى، نوع، اثنان، ثلاثة، ثم نثر على جانب الطريق بضع أشجار يملؤها

Twitter: @ketab_n

التوت الأحمر الشهي والجميل، لكي يغويها، لكنها أكملت ارتحالها إلى أن رأت فجأة أمامها حقلاً من الفراولة الكبيرة اليانعة، والتي عرفتها لأول مرة. وقفت تجمع بعضها لتأكله، وفيما هي تقطفها صادف أنها كانت تلتفت بوجهها إلى الغرب، وفي الحال عادت إليها ذكرى زوجها وألفت نفسها غير قادرة على المضي في الذهاب. همت بالجلوس، ولكن اشتياقها إلى زوجها أخذ يشتد كلما زاد انتظارها، وفي النهاية جمعت بعضاً من أجود ثمار الفراولة وانطلقت في طريق العودة لإعطائها له. لاقاها زوجها بحب وعادا معاً إلى البيت.

Twitter: @ketab_n

السترة الصفراء[1] العظيمة: أصل السمك والضفادع

في قديم الزمن كان الناس في بلدة كانو غا لا يي القديمة («موضع الورد البري»)، أو بلدة الورد البري)، عند نهر نانتاهالا، في مقاطعة «ماكون»[2] الحالية، منزعجين جداً من حشرة عظيمة، حجمها بحجم منزل، تدعى أو لا غو، والتي كانت تأتي من مخبأ سري ما، وتندفع بسرعة في الهواء، فتخطف الأطفال خلال لعبهم وتحملهم إلى مكان بعيد. لم تكن تشبه أي حشرة معروفة، وقد حاول الناس مرات عديدة تعقبها إلى بيتها، غير أنها كانت أسرع بكثير من أن يتمكن أحد من اللحاق بها.

قتلوا سنجاباً وربطوا فيه خيطاً أبيض، ليتمكنوا من تتبع وجهة سيره ومعاينته، كما يتتبع صيادو النحل طيران النحلة إلى شجرتها. جاءت أو لا غو وخطفت السنجاب بالخيط المعلق فيه، لكنها اندفعت مبتعدة عبر الهواء بسرعة كبيرة وبلحظة غابت عن النظر. قتلوا ديكاً رومياً وربطوا فيه خيطاً أبيض أطول، وجاءت

(1) زنبور مُعلم الجسم له لون أصفر فاقع (م).
(2) في ولاية نورث كارولينا (م).

Twitter: @ketab_n

أو لا غو وأخذت الديك الرومي، لكنها غابت مرة أخرى قبل أن يتمكنوا من تحديد الاتجاه الذي طارت فيه. أخذوا فخذ غزال وربطوا فيه خيطاً أبيض، ومرة أخرى انقضت أو لا غو عليه وحملته بسرعة كبيرة كان من غير الممكن تتبعها. وفي النهاية قتلوا غزالاً حولياً[1] وربطوا فيه خيطاً أبيض طويلاً جداً. جاءت أو لا غو مجدداً وقبضت على الغزال، إلا أن الحمل هذه المرة كان بالغ الثقل فاضطرت للطيران ببطء وعلى علو خفيض ما جعل الخيط يبقى مرئياً.

تنادى الصيادون لمطاردتها. لحقوا بها على طول سلسلة من الجبال في الشرق حتى باتوا قريبين من حيث هي مدينة «فرانكلين» اليوم، حينها، وإذ نظروا عبر الوادي إلى الجهة الأخرى، رأوا عش أو لا غو قائماً في كهف كبير في الصخور. أطلقوا صيحة عظيمة أمام ما رأوه ومضوا في طريقهم مسرعين في منحدر الجبل عابرين إلى الكهف. كان للعش مدخل في الأسفل بطبقات من الخلايا المبني بعضها فوق بعضه الآخر حتى سطح الكهف. وكانت أو لا غو العظيمة هناك، مع الآلاف من صغارها، التي نسميها الآن «السترات الصفراء». أضرم الصيادون النيران حول الجحر، وذلك كي يملأ الدخان الكهف ويخنق الحشرة العظيمة

(1) الحولي: حيوان عمره سنة أو في السنة الثانية من العمر (م).

Twitter: @ketab_n

وصغارها، لكن هذا لم يقتل تلك التي كانت في خارج الكهف، وقد فرت هذه الأخيرة وتكاثرت، حيث باتت السترات الصفراء اليوم، هي التي لم تكن معروفة من قبل، منتشرة في كل العالم. الناس سموا الكهف تسغاغون يي، «حيث كانت السترات الصفراء»، كما سموا المكان الذي شاهدوا منه العش للمرة الأولى آتاهي تا، «حيث أطلقوا الصيحة»، وهذان هما اسما المكانين إلى اليوم.

يقولون أيضاً إن جميع الأسماك والضفادع جاءت من سمكة وضفدع عظيمين ممسوخين كانا قد خلفا أذى كبيراً إلى أن قتلا في النهاية على يد الناس، الذين قاموا بتقطيعهما إلى أجزاء صغيرة رموها في الماء وقد اتخذت هذه الأخيرة فيما بعد شكل أسماك وضفادع أصغر حجماً.

Twitter: @ketab_n

الطوفان

في قديم الزمن كان لرجل كلب، وقد أخذ الكلب يذهب إلى النهر في كل يوم فينظر إلى الماء ويعوي. أخيراً غضب الرجل وقام بتوبيخ الكلب، الذي نطق حينذاك وخاطب الرجل قائلاً: «عما قريب سوف يحدث سيل عظيم وسوف تعلو المياه كثيراً لتغرق الجميع، لكن إن استطعت صنع طوف تركبه عندما يأتي المطر فسوف تنجو، لكن قبل ذلك عليك برميي في الماء». لم يصدق الرجل الأمر، فقال الكلب: «إن أردت علامة على صدق قولي، فانظر إلى مؤخرة رقبتي». نظر الرجل ورأى رقبة الكلب وقد تلف جلدها وبانت منه العظام.

حينئذ صدق الرجل ما قاله الكلب، وبدأ في بناء الطوف. بعدها بوقت قصير جاء المطر فأخذ عائلته وما يكفي من المؤن وصعد بهم إلى الطوف. هطل المطر لوقت طويل، وعلت المياه حتى غمرت الجبال وأغرقت جميع الناس في العالم. ثم توقف المطر وانخفضت المياه كما كانت في السابق، حتى بات النزول

Twitter: @ketab_n

من الطوف آمناً. حينها لم يكن قد بقي على قيد الحياة سوى الرجل وعائلته، غير أنهم سمعوا في أحد الأيام صوت رقص وصياح يأتي من الجانب الآخر من سلسلة الجبال. تسلق الرجل إلى قمة الجبل ونظر إلى الأسفل، فوجد كل شيء ساكناً، لكنه رأى على مدى السهل أكواماً هائلة من عظام البشر الذين غرقوا، وعلم حينها أن الأرواح هي التي كانت ترقص.

Twitter: @ketab_n

القبائل ذات الأربع[1]

في أساطير الشيروكي، كما في أساطير القبائل الهندية عموماً، ليس ثمة من فارق جوهري بين البشر والحيوانات. هؤلاء وتلك، في حقبة التكوين الأولى، بدوا غير متميزين عن بعضهم بعض البتة، فكنا نجد جميع المخلوقات على سوية واحدة، يحيون ويعملون معاً في انسجام وتعاون متبادل، إلى أن قام الإنسان، بعدوانيته وبعدم اكتراثه بحقوق الآخرين، باستثارة خصومتها، فقامت حينها الحشرات والطيور والأسماك والزواحف والوحوش ذات الأربع بتنظيم قواها في مواجهته (انظر قصة «أصل المرض والدواء»). منذ ذلك الوقت انفصلت حياة البشر عن حياة الحيوانات، لكن الفارق بينهما ظل على الدوام قليلاً.

كمثل البشر انتظمت الحيوانات في قبائل وصار لها مثلهم زعماء ودور بلدية ومجالس وألعاب كرة، كما انتقلت مثل البشر إلى الأرض المظلمة في أو أونهي ياي، الحياة الآخرة. ولا يزال

(1) يرد هذا الفصل في موضع آخر من الكتاب لكننا آثرنا إيراده هنا كون المؤلف يشرح فيه الموقع والمعنى الذي لبعض الحيوانات عند قبائل الشيروكي (م).

Twitter: @ketab_n

الإنسان هو السلطة العليا، إذ يصطاد الحيوانات ويقتلها كلما فرضت عليه حاجاته ذلك، لكنه يبقى مضطراً إلى استرضاء قبائل الحيوانات في كل طلب، وذلك بما يشبه كثيراً تسوية جريمة عن طريق تغطية عظام الميت بالهدايا المخصصة لأقارب الفقيد، بحسب النظام الهندي.

هذا الغفران الممنوح للصياد جُعل أكثر سهولة عبر مبدأ التناسخ الفريد، الذي أتاح لكل حيوان، كما يشرح الشامان[1]، فترة حياة محددة لا يمكن بترها بواسطة العنف. إن قتل الحيوان قبل انقضاء أوانه فإن موته سيكون مؤقتاً ليس إلا، وسيستعيد جسده على الفور، من نقاط الدم، وهيأته المعتادة، فيكمل الحيوان وجوده ليبلغ نهاية عمره المقدر، وفي النهاية إذ يتبدد الجسد، تمضي الروح المتحررة للالتحاق بظلالها الشقيقة في بلاد الظلام. وترد هذه الفكرة في قصة الرجل الدب كما في الاعتقاد السائد حول الغزال الصغير. بهذا فإن الموت ليس سوى حادث مؤقت والقتل هو مجرد جريمة ثانوية. ويعتقد بعض الكهنة أن هناك سبع عمليات إحياء مستعادة ومتعاقبة تسبق النهاية الأخيرة.

(1) الشامان: كاهن يستخدم السحر لمعالجة المرض وكشف المستور والسيطرة على الأحداث (م).

Twitter: @ketab_n

وهناك شخصيتان خارقتان محددتان هما «كاناتي» وتسول كالو، لهما سلطان على الحيوانات، فهما بذلك يعتبران إلهين خاصين بالصيد. احتفظ «كاناتي» لبعض الوقت بحيوانات الصيد كما بالحشرات المؤذية محبوسة في كهف بباطن الأرض، وقد قام ابناه العاقان بإطلاقها. وساد اعتقاد أن الحيوانات البدائية - الشخصيات الرئيسة في أساطير الحيوانات وهي سلف للأجناس الموجودة اليوم - كانت أكبر حجماً، وأكثر قوة ومهارة من ذريتها في الأيام الراهنة. في تلك الأساطير نجد تفسير الهنود لتمايزات محددة في شكل حيوانات مختلفة وألوانها وسلوكياتها وقد عبر عنها من خلال تمثيليات تؤديها شخصياتها المعروفة تلك.

الأول والأكثر بروزاً في أساطير الحيوانات تلك هو الأرنب تسيستو، الذي يُجسد دوماً كمحتال ومخادع، وماكر في العموم، لكن هزيمته في الغالب تتم عبر لعبته ذاتها من قبل أولئك الذين سعى لجعلهم ضحاياه.

يحظر على لاعبي الكرة خلال تمارينهم أكل لحم الأرنب، إذ أن الحيوان المذكور وبسهولة يُربك حين يركض. في المقابل، يقوم جواسيس اللاعبين بالسعي إلى فرص تمكنهم من نشر حساء معد

Twitter: @ketab_n

من أوتار مَأبِض[1] الأرنب في المسار الذي ينبغي على المنافسين سلوكه، وذلك بغية جعلهم هيابين في الأداء.

في مباريات كرة جرت بين الطيور والحيوانات ذوات الأربع، قيل إن الوطواط، الذي انخرط في فريق الطيور، تمكن من تحقيق الفوز لفريقه بفضل مهاراته المتفوقة في المراوغة. لهذا السبب فإن أجنحة الوطواط وجلده تُربط في بعض الأحيان بالأدوات المستخدمة في المباراة بغية ضمان نجاح اللاعبين. بحسب الأسطورة عينها فإن السنجاب الطائر (تيوا) ساعد أيضاً على تحقيق النصر، ومنذ ذلك الحين فإن لاعبي الكرة ما زالوا يتوسلون للحيوانين المذكورين. ويحظر لحم السنجاب الرمادي الشائع (سالا لي) على المصابين بالروماتيزم نظراً لعادة السنجاب في اتخاذ وضعية متشنجة خلال تناوله الطعام. والخطوط على ظهر سنجاب الأرض (كي يو غا) هي علامة للخدوش التي أنزلتها فيه الحيوانات الغاضبة خلال مجلس يستحق الذكر، وذلك حين أخذ على عاتقه قول كلام حسن بحق أعدائها الرئيسيين، البشر (انظر «أصل المرض والدواء»). أما فرادة المنك[2] (سونغي) فسوف يتم تناولها في قصة أخرى.

(1) إحدى مجموعتي أوتار المأبض أو باطن الركبة (م).
(2) المنك: حيوان ثديي لاحم (م).

Twitter: @ketab_n

الجاموس، حيوان الطرائد الأكبر في أمريكا، كان يتم اصطياده في منطقة أليغيني الجنوبية حتى فترة ناهزت نهاية القرن الماضي[1]، والجاموس ذاك كما يرجح هو النوع الذي عرف في الغرب بجاموس الغابة أو الجبل. الاسم المعتمد لهذا الحيوان في أوساط قبائل الخليج الرئيسية، قبائل فيز وشيروكي ويانسو وهيتشيتي ويانسي وكريك وييناسا وتشوكتاو وياناش[2]، هو نفسه الاسم المذكور أعلاه والذي يبقى عصياً على التحليل. على الرغم من أن لحم الجاموس كان يؤكل، ويخصص جلده لصنع البطانيات وأغطية الأسرة، ويخاط شعره الطويل أحزمةً، وتحول قرونه إلى ملاعق، فإنه رغم ذلك، وعلى نحو غريب، يغيب من فلكلور الشيروكي. إلى الآن كما هو شائع فإنه مذكور فقط في وصفة وحيدة من الوصفات المقدسة التي تحرم على المريض الخاضع للعلاج من داء المفاصل تناول لحمه، أو مس جلده، أو استخدام ملعقة مصنوعة من قرونه، وذلك نظراً للعلاقة السرية القائمة بين حالة الانثناء المعتادة للمصاب بداء المفاصل وبين «الحدبة» الطبيعية لهذا الحيوان.

(1) القرن التاسع عشر (م).

(2) Viz، Cherokee، Yunsu، Hitchitee، Ya'nasi، Creek، Yena'sa، Choctaw، Yanash.

Twitter: @ketab_n

يعرف الوعل باسم وي إي غوا، «الغزال العظيم»، إلا أن ذلك لا يرتبط بأي أسطورة أو تقاليد.

أما الغزال، أوي، الذي ما زال منتشراً في الجبال، فهو الحيوان الرئيسي الذي اعتمد عليه الشيروكي في صيدهم، وهو، نتيجة لذلك، بارز في الأسطورة وفي التراث وفي الشعائر. وقد سمي واحد من أسياد القبيلة السبعة تيمناً به (آني- كاوي، «غزال الشعب»). وبحسب أسطورة أخرى، فقد اكتسب الغزال قرنيه إثر سباق فاز فيه ضد الأرنب. وينسب داء المفاصل في العادة إلى أرواح غزلان منتقمة، كان الصياد قد تجاهل الاعتذار منها، وفي المقابل استُدعي الدعم للغزال في مواجهة التقرس[1]، إذ تعتبر قوائمه منيعة من الإصابة بالتقرس. أما الذئب والثعلب والأوبوسوم فاستدعيت أيضاً للهدف نفسه. حين تمد الردروت[2] (سيانوثوس أميريكانوس) أوراقها يقول الناس إن الخشفات[3] الفتية باتت هناك في الجبال. إذ يقتل الصياد غزالاً فإنه على الدوام يقطع أوتار المأبِض من جزئه الخلفي ويرميه بعيداً، مخافة أن يستبد به التعب في سفره بسهولة، وذلك إن قام بأكلها.

(1) قضم الصقيع أو لسع الصقيع، يصيب الجلد من التعرض للصقيع (م).
(2) الردروت: هي نبتة أمريكية شمالية سيفية الأوراق، برية الزهر، حمراء الجذور (م).
(3) الخِشف هو ولد الظبي (م).

Twitter: @ketab_n

آوي أوسدي، أو «الغزال الصغير»، هو الزعيم القوي لقبيلة الغزال، وهذا لا يراه أحد سوى أرباب أسرار الصيد الأعظم، وهو لا يمكن أن يُجرح إلا على يد صياد ألحق سنوات دراسته للسحر بأيام صوم متلاحقة وتهجد ليلي. يحمي الغزال الصغير دائماً رعيته، ويُحسن حمايتها ويحرص على ألا يهدر دم أحدها عبثاً. حين يرمي صيادٌ غزال، يعرف الغزال الصغير في الحال ويكون تواً في الموقع. يحني رأسه ويسأل بقع الدم على الأرض إن كانت قد سمعت الصياد يطلب المغفرة عن الحياة التي زهقها. إن كانت الصلاة المتبعة قد رفعت، فإن كل شيء يكون حسناً، إذ يكون قد كُفر عن الأضحية المطلوبة، أما في حال معاكسة، يقوم الغزال الصغير بمطاردة الصياد إلى منزله متتبعاً بقع الدم على الطريق، وهناك، حيث لا يكون أحد قد رآه أو اشتبه بوجوده، يُحِل في رأس الصياد روح الروماتيزم التي يبتلى بسببها منذ ذلك الحين فصاعداً، بالصداع والآلام. كما أنه يظهر في فترات نادرة - ربما مرة واحدة في عمر كامل - يبدو الغزال الصغير أبيض نقياً حجمه في حجم كلب صغير، لديه قرون متفرعة، وهو على الدوام برفقة قطيع كبير من الغزلان. وبرغم قنصه من قبل سيد الصيادين، فإنه يعود إلى الحياة من جديد، كونه خالداً، إلا أن الصياد المحظوظ هو ذاك الذي يمكنه الفوز بقرون الغزال جاعلاً

Twitter: @ketab_n

منها طلسماً لا يخيب يمنحه النجاح في ملاحقة الطرائد منذ ذلك الحين وإلى الأبد. وتقوم القطعة الأصغر من قرن واحد من قرون الغزال الصغير، حين تكرس كما ينبغي، بجذب الغزلان إلى الصياد، وحين تخرج تلك القطعة من دثارها فإنها تبهرها لتسهو عن الركض وتصبح طريدة سهلة. كمثل حجر الـ أولونسو تي، فإنها جائزة خطيرة إذا لم تعامل بالاحترام المعتاد، وهي - أو أنها كانت - محفوظة على الدوام في موضع سري بعيد عن البيت لتحفظ من الأيدي المدنسة.

وهناك قوة طلسمية تكاد تكون مشابهة ترتبط في أسفل القرن الفتي للغزال وذلك عندما يجري استعماله على النحو السليم. وكان الإيمان بقدرتها على التأثير «بكل ما يتعلق بالغزال» راسخاً بشدة، إذ حتى التجار البيض منذ مائة وثمانين عاماً مضى كانوا يقايضون الهنود على هكذا تمائم بغية زيادة مخزونهم من جلد الغزال من خلال سيطرتهم على تلك التجارة. ولا يزال الإيمان بوجود الغزال الصغير الخارق سائداً بقوة في أوساط الشيروكي وذلك بما يعادل إيمان الشيروكي القدماء بالحياة المستقبلية.

الدببة (يانو) هي شيروكي من عشيرة آني - تسا غوهي القديمة وقد حُولت إلى شكلها هذا. زعيمها هو الدب الأبيض، الذي

Twitter: @ketab_n

يعيش في كاوا هي، في «موطن شجر التوت»، إحدى الذرى العالية من جبال الضباب العظيمة[1]، بالقرب من بحيرة آتاغا هي المسحورة، حيث تلجأ الدببة المثخنة بالجراح لكي تُبرأ من الأذى. في أسفل كوواهي وفي ثلاث من القمم الأخرى بمنطقة الجبال عينها، هناك مجالس تجتمع فيها الدببة وتقيم الرقص في كل خريف قبل إيوائها إلى أوكارها في الشتاء. لأنها بشر في الحقيقة، كان باستطاعتها النطق فقط حين كان ينبغي عليها ذلك، وحين كان يسمع غناء أم من الدببة لجرائها بكلمات يفهمها الصياد. ثمة نوع منها يعرف بـ كالاس-غوناهي تا، «الأفخاذ الطويلة»[2]، وهي توصف بأنها دببة سود كبيرة لها رجلان طويلتان وأقدام صغيرة، وهي هزيلة على الدوام، فلا يهتم الصياد بصيدها، على الأرجح بسبب هزالها. كما يعتقد أن جرائها الحديثة الولادة تكون بلا شعر، كمثل الفئران.

ويبجل الذئب (وا يا) باعتباره صياد «كاناتي» وكلبه الحارس، والنوع الأكبر منه في قبيلة الدببة يدعى آني-وا يا، «ذئب الشعب». ولا يقتل الشيروكي العاديون أياً منها إن كان باستطاعتهم تجنب ذلك، فهم يدعون الحيوان المذكور يذهب

(1) Great Smoky mountains
(2) «Long Hams»

Twitter: @ketab_n

في حال سبيله سالماً، إذ أنهم يعتقدون أن صغار الذئب المقتول سوف تنتقم لموته بالتأكيد، وأن السلاح الذي اقترف فيه القتل سيغدو غير نافع للاستخدام مرة أخرى قبل تنظيفه وتجربته على يدي ساحر. إلى ذلك، فإن أشخاصاً محددين يمتلكون المعرفة بالطقوس السحرية المناسبة قد يقتلون الذئاب ويكونون محصنين من العواقب، وهم يستأجرون لهذه الغاية من قبل آخرين عانوا من مداهمات جُردت على أشراك سمكهم وعلى مخازنهم. كمثل قاتل النسر في إحدى الحكايات، فإن قاتل الذئب المحترف، وبعد قتله إحدى هذه الحيوانات، يخصص له صلاة يسعى بها لتجنب ثأر القبيلة عبر إنحاء اللوم على أناس من إحدى القرى الأخرى. ويقوم حينذاك بحل ماسورة بندقيته ويحشو فيها سبعة قضبان صغيرة من شجرة الحامض محماة فوق النار، ويتركها هكذا طيلة الليل موضوعة في جدول جار، وفي الصباح يتم إخراج القضبان وتجفف الماسورة جيداً وتنظف.

وعلى الرغم من أن الكلب (غي لي)، هو جزء من حياة الشيروكي كما القبائل الأخرى، فإنه بالكاد يظهر في حكاياتهم وأمثالهم الشعبية. وتعتبره إحدى الأساطير مسؤولاً عن درب التبانة، وأخرى تظهره المسؤول عن إخراج الذئب من بيته

Twitter: @ketab_n

الدافئ المريح ومحتلاً إياه لنفسه. كما يرد ذكره في حكاية أخرى مرتبطة بالطوفان.

وليس ثمة من عرف لتقديم الحصان (سا غوالي، من آسا'غواليهو، من «الصرة أو الحِمل») أو البقرة (وا'كا، من vaca باللغة الإسبانية). أما الخنزير فيدعى سيكوا، هذا الاسم الذي يعود في الأصل للأبوسوم[1]، وقد بات يميز باسم سيكوا أوتسي تستاي، «السيكوا المكثر».

على النحو ذاته دعي الخروف باسم آوي أونادي نا، «الغزال الصوفي»، والماعز باسم آوي أهانو لاهي، «الغزال الملتحي»، والبغل، «سا غوا لي ديغو لاناهي تا»، «الحصان ذو الأذن الطويلة». ودعي القط، التي حُصل عليه أيضاً من البيض، باسم ويسا. وحين يقعي قرب المدفأة مخرخراً، يقول الأولاد إنه يقوم بالعد بلغة الشيروكي، «تا لادو، نون غي، تا لادو، نون غي»، أي «ستة عشر، أربعة، ستة عشر، أربعة». وقد دعي الفيل، والذي لم يشاهده في العروض سوى قلة من الشيروكي، دُعي من قبلهم كاما ما أو تانو»، «الفراشة العظيمة»، وذلك للشبه المفترض بين خرطومه الطويل وأذنيه الخافقتين وبين خرطوم وجناحي تلك

(1) الأبوسوم: حيوان أميركي من ذوات الجراب يتظاهر بالموت عندما يحدق به الخطر (م).

Twitter: @ketab_n

الحشرة. وتعد الخصائص البنيوية للأوبوسوم، بكلا جنسيه، موضوعاً للكثير من التأمل الفضولي عند الهنود، والذي يعتقد الكثيرون منهم أن صغار الأبوسوم تولد من دون أي مساعدة من قبل الذكر. يرد هذا في واحدة أو اثنتين من الأساطير الثانوية.

ويذكر الثعلب تسو لا، في واحدة من الوصفات الطبية، لكنه لا يظهر في الحكايات وفي الفلكلور القبلي. ويعرف الثعلب الأسود باسم آخر هو إينا لي. ويعتقد أن رائحة الظربان[1] تقي من الأمراض المعدية، لهذا فإن جيب الروائح يُنتزع منه ويعلق فوق المدخل، فيُجعل فيه ثقب صغير لكي تفوح محتوياته في الخارج فوق الأخشاب. أحياناً، كما حين شاع داء الجدري عام 1866، كان جسم الحيوان بأسره يعلق هكذا، وفي بعض الحالات، وكاحتراز إضافي، كان لحمه يُطهى ويؤكل ويدهن بزيته جلد المصاب. والفكرة وراء ذلك هي أن الرائحة المنتنة تطرد روح المرض، وبناء على المبدأ نفسه فإن الصقر، الذي تبرز قوته في إصدار الروائح القذرة، يعد منيعاً في وجه الأمراض عينها.

السمور[2] (دا يي)، ونظراً لصيته الذائع في قدرته على القضم، والذي لا يستطيع مقاومته حتى الخشب الأكثر صلابة،

(1) الظربان الأمريكي: حيوان ثديي صغير منتن الرائحة (م).
(2) أو القندس، وهو حيوان من القوارض ثمين الفرو (م).

Twitter: @ketab_n

يُناشد من أجل الأطفال الصغار الذين تنبت للتو أسنانهم الدائمة. وبناء على الوصفة البسيطة التي تعرفها كل أم في القبيلة تقريباً، فإنه حين ينزع سن الحليب اللين، أو حين يَسقط تلقائياً، يركض الولد به حول البيت لأربع مرات متتالية، مردداً «دا بي سكينتا» (أيها السمور، ضع لي سناً جديدة) بعد ذلك يلقي بالسن عن سطح البيت.

في تعويذة غنائية مخصصة لحماية المسافر من لسع الصقيع، فإنه قبل الانطلاق في صباح شتائي بارد، يفرك المسافر قدميه برماد النار ويشدو أغنية من أربعة مقاطع، وبواسطتها، بحسب المعتقد الهندي، يكتسب القدرة على مقاومة البرد التي للذئب والغزال والثعلب والأبوسوم، الحيوانات الأربعة التي تمتلك قوائم لا يلسعها البرد قط. بعد كل مقطع يقوم بمحاكاة صرخة الحيوان وحركاته. العبارات المستخدمة قديمة الصيغة ويمكن ترجمتها بـ «لقد صرت ذئباً حقيقياً»، إلخ. تقول الأغنية:

تسون وا يا - يا (تُعاد أربع مرات)، وا آ! (صرخة طويلة). (محاكاة ذئب يضرب الأرض بقوائمه).

تسون كا وي بي (تُعاد أربع مرات)، ساوه! ساوه! ساوه! ساوه! (محاكاة صوت الغزال وقفزه).

Twitter: @ketab_n

تسون تسو لا يا (تُعاد أربع مرات)، غايي! غايي! غايي! غايي! (محاكاة عواء الثعلب وخدشه الأرض).

تسون سيكوا يا (تعاد أربع مرات)، كيي (محاكاة صرخة الأبوسوم حين يحشر في الزاوية، وحين يلقي برأسه إلى الخلف متظاهراً بالموت).

Twitter: @ketab_n

الأرنب يذهب لصيد البط

كان الأرنب شديد التبجح فيزعم أن بوسعه القيام بكل ما يرى غيره يقوم به، وكان محتالاً كبيراً فيستطيع في العادة أن يجعل الحيوانات الأخرى تصدقه في كل ما يقول. وقد زعم مرة أن بوسعه السباحة في الماء وأكْل السمك كما يفعل القُضاعة[1]، وحين طلب منه الآخرون إثبات ذلك وضع خطة خدعت حتى القُضاعة نفسه.

بعد ذلك بوقت قصير التقوا مرة أخرى وقال القُضاعة: «أنا أحياناً آكل البط». فقال الأرنب: «حسناً، أنا أيضاً آكل البط». تحداه القُضاعة في أن يحاول، فمضيا بمحاذاة النهر إلى أن شاهدا عدة بطات في الماء واستطاعا الاقتراب منها خلسة. قال الأرنب للقُضاعة أن يبدأ أولاً. لم يتردد القضاعة لحظة، فقفز وسبح تحت الماء حتى بلغ البط، ثم سحب واحدة منها إلى الأسفل من دون أن تنتبه الأخريات، وعاد بالطريقة ذاتها.

(1) ثعلب الماء: حيوان طويل الذيل قصير القوائم (م).

Twitter: @ketab_n

وفيما كان القُضاعة تحت الماء قام الأرنب بقشر بعض اللحاء من شجرة صغيرة وصنع لنفسه أحبولة. قال: «الآن أنظر فحسب»، ونزل في الماء وسبح قليلاً تحتها حتى كاد يختنق وبات عليه أن يخرج إلى السطح كي يتنفس. ثم عاد ونزل في المياه وسبح فيها وعاد وخرج إلى السطح على مسافة أقرب من البط. ثم أخذ نفساً آخر وغطس من جديد، ثم ارتفع إلى السطح هذه المرة وسط البط وألقى بأحبولته فوق رأس واحدة منها والتقطها. جهدت البطة كثيراً للإفلات، وفي النهاية بسطت جناحيها وطارت فيما الأرنب معلق بالأحبولة.

طارت البطة وطارت حتى لم يعد بوسع الأرنب التحمل أكثر، بل بات عليه أن يترك الأحبولة ويسقط. وإذ حدث ذلك، سقط الأرنب في جذع شجرة جميز طويلة ومجوفة لا فتحة في أسفلها كي يخرج منها، وقد بقي هناك حتى تملكه الجوع لدرجة كان عليه أن يأكل فروه، وهذا ما صار يفعله الأرنب منذ ذلك الحين كلما نهشه الجوع. بعد بضعة أيام، حين صار شديد الضعف بسبب الجوع، سمع أولاداً يلعبون بين الأشجار في الخارج. فبدأ يغني:

Twitter: @ketab_n

احفروا باباً وانظروا إلي

أنا أجمل ما وقعت عيونكم عليه

هرع الأولاد إلى المنزل وأخبروا والدهم بما سمعوه، فحضر الأخير إلى المكان وبدأ يحفر ثقباً في الشجرة. وفيما كان الرجل يقطع بفأسه أكمل الأرنب في الداخل غناءه، «وسع الفتحة كي تراني بطريقة أفضل، أنا جميل جداً». جعلوا الفتحة أوسع، وحينها طلب منهم الأرنب أن يتراجعوا لكي يشاهدوه على نحو أفضل حين يخرج. فتراجعوا، وتحين الأرنب الفرصة وقفز إلى الخارج وفر.

Twitter: @ketab_n

كيف سرق الأرنب معطف القُضاعة

كان للحيوانات أحجام مختلفة وكانت ترتدي معاطف متعددة الألوان والنقوش. بعضها ارتدى فروًا طويلاً وبعضها الآخر ارتدى القصير منه. بعضها كان له حلقات على الأذيال، وبعضها لم يكن له أي ذيل. كانت معاطف بعضها بنية اللون، ومعاطف بعضها الآخر سوداء أو صفراء. وكانت الحيوانات على الدوام تتجادل حول حسن مظهرها، إلى أن وافقت في النهاية على عقد مجلس يقرر فيه من منها يلبس المعطف الأجمل.

سمعت الحيوانات كثيراً عن القُضاعة الذي يعيش بعيداً جداً في أعلى الجدول والذي كان من النادر نزوله لزيارة الحيوانات الأخرى. فقد قيل إن له المعطف الأجمل بين معاطفها جميعاً، إلا أن أحداً لم يعلم تماماً كيف هو ذاك المعطف، فقد مضى زمن طويل منذ أن شوهد آخر مرة، حتى إن الحيوانات لم تعرف تماماً مكان عيشه – فقد عرفت بصورة عامة، الاتجاه فقط، إلا أنها عرفت أنه سوف يأتي إلى المجلس عندما يبلغه الخبر.

Twitter: @ketab_n

وقد أراد الأرنب أن يصدر الحكم لمصلحته، وحين بدا هذا الحكم يميل إلى القضاعة وضع خطة يخدع الأخير من خلالها. طرح بعض الأسئلة الماكرة حتى علم الطريق التي سيسلكها القُضاعة للوصول إلى مكان المجلس. ثم، من دون أن يقول شيئاً، انطلق في الحال وبعد سفر أيام أربعة التقى القُضاعة وعرفه فوراً بفضل معطفه الجميل الذي من فرو ناعم، بني – قاتم اللون. سُعد القُضاعة بلقائه وسأله عن وجهة سفره.

فقال الأرنب: «أوه، لقد أرسلتني الحيوانات كي آتي وأحضرك إلى المجلس، لأنها خافت، كونك تحيا في مكان بعيد جداً، ألا تعرف الطريق». توجه القُضاعة إليه بالشكر، ثم ذهبا في طريقهما معاً.

سافرا طيلة اليوم نحو أرض المجلس، وفي الليل، لأن القُضاعة كان غريباً عن ذلك الجزء من البلاد، اختار الأرنب مكاناً للتخييم وقام بقطع الأجمات لصنع فراشين وفعل كل شيء كما ينبغي. وفي الصباح التالي انطلقا من جديد. وبحلول العصر وفيما يسيران شرع الأرنب بجمع الحطب ولحاء الشجر وبحملها على ظهره. حين سأله القُضاعة عن سبب قيامه بذلك قال الأرنب إنها من أجل دفئهما وراحتهما في الليل. بعدها بقليل، إذ دنا غروب الشمس، توقفا وأقاما مخيمهما.

Twitter: @ketab_n

حين رُفع العشاء تناول الأرنب عصا وبراها لتكون مجذافاً. فتعجب القُضاعة وسأل مجدداً عن الغاية من ذلك. فأجابه الأرنب: «أرى أحلاماً سعيدة حين أنام والمجذاف تحت رأسي».

حين فرغ من صناعة المجذاف بدأ الأرنب بقطع الأجمات كي يشق ممراً نحو النهر في الأسفل. تعجب القُضاعة أكثر فأكثر وأراد أن يعرف معنى ذلك. فقال الأرنب: «هذا المكان يدعى دي تاتلاسكي يي (حيث تمطر ناراً). إنها تمطر ناراً هنا في بعض الأحيان، وتغدو السماء في الليل على هذا النحو بعض الوقت. اذهب أنت للنوم وسأبقى صاحياً لأراقب، فإذا أتت النار وسمعت صيحتي ابدأ بالركض واقفز في النهر. من الأفضل أن تعلق معطفك على غصن هناك فلا يحترق».

فعل القُضاعة ما قيل له، ومضيا معاً إلى النوم، غير أن الأرنب يقي صاحياً. بعد قليل غدت النار جمرات حمراء. أطلق الأرنب صيحة، لكن القُضاعة كان قد أغفى بسرعة ولم يُجب. بعد برهة أخرى صاح الأرنب من جديد، لكن القُضاعة لم يتزحزح. حينها ملأ الأرنب المجذاف بالجمرات المتوقدة ونثرها عالياً في الهواء وصاح: «إنها تمطر ناراً! إنها تمطر ناراً!».

Twitter: @ketab_n

سقطت الجمرات في كل مكان حول القُضاعة فوثب من مكانه. «إلى الماء!»، صاح الأرنب، فركض القُضاعة وقفز في النهر، وهو منذ ذلك الحين يحيا هناك.

أخذ الأرنب معطف القُضاعة ولبسه، تاركاً للأخير معطفه هو، وانطلق إلى المجلس. كانت الحيوانات جميعها هناك بانتظار القُضاعة. أخيراً رأته من بعيد، وأخذ كل حيوان يقول للآخر: «القُضاعة قادم!» وأرسلت واحداً من الحيوانات الصغيرة ليدله على المقعد الأمثل. وقد سرت جميعها برؤيته وتقدمت واحداً إثر الآخر للترحيب به، غير أن القُضاعة أبقى رأسه محنياً، حاجباً وجهه بأحد كفيه. فظنت الحيوانات أنه شديد الخجل، إلى أن تقدم الدب وأزاح الكف عن وجهه، حينها ظهر الأرنب بأنفه المشقوق. ثم وثب وشرع في الركض، فانطلق الدب في إثره والتقطه من ذيله، غير أن الأرنب كان سريعاً واستطاع الإفلات.

Twitter: @ketab_n

لماذا ذيل الأبوسوم أجرد؟

كان للأبوسوم ذيل طويل كث، يسرحه في كل صباح من شدة فخره به وينشد أغنيات عنه خلال الرقص، إلى أن استبدت الغيرة بالأرنب الذي لم يعد له ذيل منذ أن انتزعه الدب، فخطرت له فكرة لإيقاع الأبوسوم في مكيدة.

كان سيقام مجلس عظيم واحتفال راقص تحضره جميع الحيوانات. وكلف الأرنب بنشر الخبر، وحين بلغ مسكن الأبوسوم توقف لسؤاله إن كان ينوي الحضور. فأجاب الأبوسوم أنه قد يحضر إذا حصل على مقعد متميز، «كوني أملك هذا الذيل الأنيق الذي يفرض علي الجلوس في موضع يراني منه الجميع». وَعَده الأرنب بتسوية الأمر كما بتخصيص من يتولى تسريح ذيل الأبوسوم وتهيئته للرقص، فسُر الأخير كثيراً ووافق على الحضور.

Twitter: @ketab_n

ثم مضى الأرنب إلى الجُدْجُد[1]، الذي كان خبيراً في قص الشعر والذي سماه الهنود الحلاق، وطلب منه أن يذهب في الصباح التالي ويعدّ ذيل الأبوسوم للرقص في ذاك المساء. قال الأرنب للجُدْجُد ما يفعله بالضبط، ثم مضى بعدها لإعداد مقالب أخرى.

في الصباح ذهب الجُدْجُد إلى منزل الأبوسوم وقال له إنه جاء لتهيئته من أجل الرقص. فتمدد الأبوسوم أمامه وأغمض عينيه فيما أخذ الجُدْجُد يسرح له ذيله ويلف حول الذيل شريطاً أحمر يحفظ نعومته حتى الليل. لكن طوال ذلك الوقت، وفي حين كان الجُدْجُد يحوك الشريط حول الذيل، أخذ يجز الشعر مقترباً من جذوره، ولم يدر الأبوسوم بذلك.

بحلول الليل ذهب الأبوسوم إلى دار البلدة حيث سيعقد الرقص ووجد المقعد الأفضل قد أُعد له تماماً كما وعد الأرنب. حين جاء دوره في الرقص قام بحل الشريط عن ذيله وخطا إلى وسط الحلبة. فبدأ الطبالون بالقرع وشرع الأبوسوم في الغناء، «انظروا ذيلي الجميل». علت أصوات الجميع ورقص حول الدائرة وغنى مراراً، «انظروا لونه الرائع». علت الأصوات

(1) صرصار الليل (م).

Twitter: @ketab_n

مجدداً وعاود الرقص واستدار ثانية، منشداً، «انظروا كيف يجري على الأرض». صاحت الحيوانات بأصوات أعلى مما سبق، وانشرحت أسارير الأبوسوم. رقص في الأنحاء وغنى مرة أخرى «انظروا إلى جمال الفرو». حينها ضحك الجميع طويلاً واحتار الأبوسوم في الأمر. فنظر إلى الحيوانات في الدائرة حوله وكانت جميعها تضحك منه. ثم دنا بنظره إلى ذيله الجميل ورأى أنه لم يعد هناك شعرة واحدة عليه، بل صار أجردَ كذيل العظاءة. أحس بذهول شديد وبخجل أعياه عن النطق بأي كلمة، وتدحرج بائساً على الأرض مُكشراً، تماماً كما يفعل الأبوسوم إلى يومنا هذا حين يؤخذ على حين غرة.

Twitter: @ketab_n

كيف قبض السنَور[1] على الديك الرومي؟

ذات مرة قبض السنور على الأرنب وكاد أن يقتله، حينها توسله الأرنب للإبقاء على حياته، قائلاً: «أنا صغير جداً ولست سوى لقمة واحدة بالنسبة لك، لكن إن تركتني وشأني فسوف أقودك إلى حيث تجد قطيعاً كاملاً من الديكة الرومية». لذا تركه السنور ورافقه إلى موضع الديكة الرومية.

حين اقتربا من المكان قال الأرنب للسنور: «الآن عليك أن تفعل ما أقوله لك بالضبط. تمددْ على الأرض كمثل ميتٍ ولا تتحرك حتى لو رفستك، لكن حين أعطيك الإشارة اقفز والتقط الحجر الكبير الذي هناك». وافق السنَور وتمدد كالميت، في حين جمع الأرنب بعض الحطب اليابس وفتته فوق عيني السنَور وأنفه لتبدو جثته فاسدة ولكي تظن الديكة الرومية أن وقتاً مضى على موته.

ثم مضى الأرنب إلى الديكة الرومية وقال لها بتودد: «لقد وجدت هنا عدونا القديم، السنَور، ملقى ميتاً على الطريق. تعالوا نرقص فوقه». شعرت الديكة الرومية بالريبة الشديدة، لكنها في

(1) القط البري (م).

Twitter: @ketab_n

النهاية رافقته إلى حيث يتمدد السنَور على الطريق كمثل ميت. الآن، وبما أن للأرنب صوتاً عذباً وهو قائد رقص عظيم، قال لها: «أنا أتولى الغناء وأنتِ ارقصي حوله». استحسنت الديكة الرومية الأمر، فاستل الأرنب عصاً ليقود الإيقاع وشرع في الغناء: «غالاغي نا هاسوياك، غالاغي نا هاسوياك (اختر الديك الرومي، اختر الديك الرومي)».

فسأله الديك الرومي الهرم: «لماذا تقول هذا؟».

قال الأرنب: «أوه، لا بأس بالأمر، هذا ما كان يفعله، ونحن ننشد عن ذلك». أعاد الأغنية من جديد وبدأت الديكة بالرقص حول السنَور. وبعد دورات عدة قال الأرنب، «الآن انهض واضربه، كما نفعل في رقصة الحرب». هكذا قامت الديكة، التي ظنت أن السنَور ميت لا محالة، بالتجمع حوله مقتربة منه وقام الديك الهرم برفسه. حينذاك ضرب الأرنب الطبل بقوة وأطلق العنان لغنائه: «اختر الديك الرومي، اختر الديك الرومي»، فوثب السنَور وقبض على الديك الرومي.

Twitter: @ketab_n

كيف هزم الرق[1] الأرنب؟

كان الأرنب عداءاً عظيماً، وقد عرف الجميع هذا. لكن أحداً لم يحسب الرق يوماً سوى أنه رحالة بطيء، إلا أن الأخير كان محارباً عظيماً وشديد التبجح، وكان هو الأرنب يتجادلان باستمرار حول سرعتهما. أخيراً قررا حسم المسألة في سباق. فحددا اليوم ومكان الانطلاق واتفقا على الجري عبر أربع سلاسل جبلية، ومن يحل أولاً في نهاية السباق يكون هو الرابح.

أحس الأرنب بثقة كاملة في الأمر فقال للرق: «تعرف أنك لا تستطيع الفوز. لن يكون بوسعك الفوز قط في السباق، لذا سأمنحك السلسلة الأولى فلن يبقى لك حينذاك سوى ثلاث سلاسل تقطعها، فيما أقطع أنا أربعاً».

قال الرق إنه سيكون على ما يرام، لكن حين عاد إلى البيت لعائلته في تلك الليلة أرسل لأصدقائه من الرق يخبرهم أنه

(1) أو الحَمَسَة، وهي سلحفاة مائية (م).

Twitter: @ketab_n

بحاجة لمساعدتهم. قال إنه يدرك عدم قدرته على سبق الأرنب، لكنه يود ذلك وقف تبجح الأخير أمامه. شرح خطته لأصدقائه فوافقوا على مساعدته.

وحين حل ذلك اليوم، كانت الحيوانات جميعها هناك لتشاهد السباق. الأرنب كان حاضراً معها، أما الرق فقد كان قد مضى قدماً نحو السلسلة الأولى، كما سبق واتفقا، وكاد إلا يُرى بسبب الحشائش الطويلة. أعلنت لحظة البداية فباشر الأرنب الركض بوثبات طويلة في الجبل، مُتوقعاً الفوز بالسباق حتى قبل أن يتمكن الرق من بلوغ المنحدر. إلا أنه وقبل الوصول إلى أعلى الجبل شاهد الرق يتخطى السلسلة متقدماً عليه. مضى راكضاً، وحين وصل القمة نظر في الأنحاء حوله، إلا أنه لم يرى الرق بسبب الحشائش الطويلة. استمر منحدراً في الجبل وأخذ يتسلق السلسلة الثانية، لكنه حين عاود النظر إلى الأعلى كان الرق قد باشر في صعود القمة. حينذاك بدا متفاجئاً فانطلق بوثباته الأطول ليدرك منافسه، غير أنه ما إن وصل إلى القمة حتى وجد الرق قد مضى متقدماً نحو السلسلة الثالثة. بدأ الأرنب يتعب وتضيق أنفاسه، لكنه استمر منحدراً في الجبل وصاعداً

Twitter: @ketab_n

السلسلة الأخرى إلى أن بلغ القمة بالتزامن مع رؤيته للرق يعبر السلسلة الرابعة ليفوز هذا الأخير في السباق.

لم يستطع الأرنب القيام بوثبة أخرى، بل ارتمى أرضاً، باكياً، مي، مي، مي، مي، كما باتت الأرانب تفعل منذ الحين حين يستبد بها التعب ويعجزها الركض. فاز الرق بالسباق وقد تساءلت الحيوانات جميعاً عما مكنه من الانتصار على الأرنب، إلا أن الرق ظل صامتاً ولم يتكلم البتة. مع ذلك، فقد كان الأمر سهلاً بما فيه الكفاية، لأن أصدقاء الرق جميعهم كانوا متشابهين، وقد قام الرق ببساطة بنشر واحد من أصدقائه هؤلاء قرب كل قمة من قمم السلاسل الجبلية لينتظروا هناك حتى يروا الأرنب مُقبلاً فيختبئون عندها بين الحشائش الطويلة. عندما وصل الأرنب لم يستطع أن يجد الرق فظن أن الأخير مضى قدماً، وكان لو صادف الأرنب أياً من الرق الآخرين لما لاحظ الفارق بينها كونها تبدو على هيئة واحدة. أما الرق الحقيقي فاختار المكوث في السلسلة الرابعة، ليبلغ هو نهاية السباق ويكون جاهزاً للإجابة عن أي تساؤل تطرحه الحيوانات إن اشتبهت بشيء.

Twitter: @ketab_n

لأنه كان على الأرنب الإقرار بالهزيمة وخسارة السباق فقد بات الساحر في هذه الأيام، حين يحضر لاعبيه الشبان لمباراة الكرة، يقوم بتحضير حساء فيه كمية كبيرة من أوتار مأبِض الأرنب، ويرسل في الليل من يعمل على سكب الحساء على الطريق الذي سيسلكه اللاعبون الآخرون في الصباح، ما قد يجعلهم منهكون كما أنهك الأرنب، فيخسرون المباراة. ليس من السهل دائماً القيام بهذا، كون الفريق المنافس يتوقع الأمر، فيرسل مراقبين لتداركه.

Twitter: @ketab_n

الأرنب وذئب القطران

في يوم من الأيام ساد طقس حار لفترة مديدة فجفت الجداول والينابيع، وعقدت الحيوانات مجلساً تنظر فيه بما تفعله حيال ذلك. ثم قررت حفر بئر، ووافقت جميعها على التعاون سوى الأرنب، الذي كان كسولاً، فقال: «لست بحاجة إلى الحفر كي أحصل على المياه، فالندى على وريقات الشجر يكفيني». لم يعجب كلامه الحيوانات الأخرى التي مضت للعمل معاً في حفر البئر.

ثم لاحظت الحيوانات أن الأرنب يحتفظ بأناقته ورشاقته، برغم استمرار جفاف الطقس وتناقص مياه البئر. فقالت: «ذاك الأرنب المحتال يسرق ماءنا في الليل»، ثم صنعت ذئباً من صمغ الصنوبر والقطران ووضعته إلى جانب البئر لإخافة السارق. في تلك الليلة جاء الأرنب، كما كان يأتي في كل ليلة، ليشرب كمية من الماء تكفيه طيلة اليوم التالي. رأى ذلك الشيء الأسود الغريب قرب البئر فصاح: «من هناك؟». لكن ذئب القطران لم يقل شيئاً.

Twitter: @ketab_n

فاقترب منه أكثر، غير أن الذئب لم يحرك ساكناً، فزادت جرأته وقال: «ابتعد عن طريقي وإلا ضربتك». بقي الذئب من دونما حركة فتقدم الأرنب وضربه بكفه، لكن الصمغ علق برجله وتيبس في الحال. حينذاك أحس بالغضب وقال: «دعني أذهب وإلا رفستك» فبقي الذئب صامتاً. حينئذ قام الأرنب بالضرب مجدداً ضربة شديدة بقدمه الخلفية، جعلت الأخيرة تعلق بالصمغ ولم يعد قادراً على الحركة، فعلق هناك إلى أن جاءت الحيوانات في الصباح للتزود بالماء. وعندما اكتشفت السارق هزأت به كثيراً لبعض الوقت ثم استعدت لقتله، لكن حين حلت وثاق الأرنب من ذئب القطران استطاع الهرب فوراً.

Twitter: @ketab_n

نسخة ثانية من الحكاية

مرة في قديم الزمان حل جفاف كبير نضبت بسبب ينابيع المياه والبحيرات كلها. في ظل تلك الحالة الطارئة اجتمعت الوحوش كي تدبر سبل الحصول على المياه. فاقترح أحدها حفر بئر. وافق الجميع على ذلك سوى الأرنب الوحشي[1] الذي رفض الحفر حفاظاً على كفيه الصغيرين. فقام الباقون بحفر البئر وكانوا محظوظين بما فيه الكفاية إذ وجدوا ماءً.

بدأ الأرنب الوحشي يقاسي الظمأ، ولأنه لم يكن له الحق في استخدام البئر، بات عليه الاعتماد على ذكائه لتدبر الماء. فقرر، على النحو الأسهل، السرقة من البئر العمومي. فسألته الحيوانات الأخرى، التي فوجئت بحصول الأرنب الوحشي على ماء وافر، عن مصدر حصوله على ذلك الماء. فأجاب أنه يستيقظ باكراً في الصباح ويقوم بجمع قطرات الندى. غير أن الذئب والثعلب اشتبها باعتماده على السرقة وباشرا في تطبيق الخطة التالية بغية ضبطه:

(1) الأرنب الوحشي: أرنب بري مشقوق الشفة العليا (م).

Twitter: @ketab_n

صنعا ذئباً من القطران ووضعاه قرب البئر. في الليلة التالية جاء الأرنب الوحشي كالمعتاد للتزود بالماء. وحين رأى ذئب القطران سأل: من هناك. حين لم يلق أي جواب قام برفس الذئب، وهكذا التصق بالقطران وتم القبض عليه. وعندما بات في عهدة الذئب والثعلب تشاور الأخيران بما يحسن فعله به. فاقترح أحدهما قطع رأسه. لكن الأرنب الوحشي اعترض على ذلك قائلاً إن هذا سيكون بلا فائدة، إذ لطالما جُرب هذا الأمر ولم يؤذه. كذلك كان تعليقه على جميع الاقتراحات الأخرى. في النهاية اقتُرح أن يترك ليموت في الأدغال. إزاء هذا أصيب الأرنب الوحشي بالذعر وتوسل بأسى إبقاءه على قيد الحياة. لكن عدواه رفضا الاستماع له، وبناء على ما اتفقا عليه تركاه في الأدغال. إلا أنه، وسرعان ما ابتعد عدواه، أطلق هتافاً وصاح وهو يثب قدماً: «أنا هنا أعيش».

Twitter: @ketab_n

الأرنب والأبوسوم يريدان الزواج

أراد كلّ من الأرنب والأبوسوم زوجة، إلا أن أحداً لم يرض الزواج بأي منهما. فتداولا في الأمر وقال الأرنب: «لن نتمكن من الحصول على زوجتين هنا، فلنذهب إلى قرية أخرى. فأنا رسول إلى المجلس، وسأقول للناس إنني أحمل لهم أمراً هو وجوب أن يتخذ كل واحد منهم شريكاً في الحال، وحينها بالتأكيد سوف نحصل على زوجتينا».

رأى الأبوسوم أن الخطة جيدة، فانطلقا معاً إلى القرية المجاورة. وبما أن الأرنب كان أسرع في السفر فقد وصل أولاً وانتظر في الخارج إلى أن لاحظ الناس وجوده وأدخلوه إلى دار البلدة. وحين جاء الزعيم لسؤاله عن غرضه قال الأرنب إنه يحمل أمراً مهماً من المجلس يقول بوجوب أن يقوم الجميع بالزواج من دون إبطاء. فدعا الزعيم الناس للتجمع وأعلمهم برسالة المجلس. فاتخذ كل حيوان شريكاً في الحال، وحاز الأرنب على زوجة.

Twitter: @ketab_n

سافر الأبوسوم ببطء شديد مما جعله يصل إلى هناك بعد أن اتخذ كل حيوان شريكاً، وبقي هو من دون زوجة. تظاهر الأرنب بالأسف لأجله وقال: «لا تقلق، سوف أحمل الرسالة إلى الناس في القرية المجاورة، فأسرع بقدر ما تستطيع، وستحصل على زوجه هذه المرة».

هكذا مضى الأرنب إلى القرية المجاورة، وانطلق الأبوسوم على إثره في الحال. لكن حين بلغ الأول دار البلدة أشار في كلامه هناك إلى أنه، ونتيجة للخمول الذي يصيب الجميع بعد سلام مديد، فقد أمر المجلس باندلاع حرب على الفور وأن عليهم البدء بها في دار البلدة. بهذا شرع الجميع في القتال، إلا أن الأرنب وثب أربع وثبات عظيمة وغادر قبل وصول الأبوسوم بقليل. حينذاك قفز الجميع على الأبوسوم الذي لم يخطر له إحضار أسلحته في رحلة عرس والذي لم يتمكن من الدفاع عن نفسه. كادوا أن يزهقوا روحه حين سقط وتظاهر بالموت وتحين فرصة سانحة كي ينهض ويهرب. لم يحصل الأبوسوم على زوجة قطّ، غير أنه ظل يتذكر الدرس، وهو منذ ذلك الحين يغلق عينيه ويتظاهر بالموت كلما حشره صياد في الزاوية.

Twitter: @ketab_n

الأرنب يولم للدب

دعا الدب الأرنب لتناول الطعام معه. كان لديهما فول في القدر، لكن لم يكن ثمة سمن، فقام الدب بانتزاع قطعة من ضلعه واستخرج منها زيتاً كافياً لطهي العشاء. بدا الأرنب مذهولاً وقال في نفسه: «إنها لطريقة سهلة. أعتقد أنني سأجربها». حين هم بالعودة إلى بيته دعا الدب إلى العشاء بعد أربعة أيام.

عندما أتى الدب قال الأرنب: «لدي فول للعشاء، أيضاً، والآن سوف أستخرج له السمن». استل سكيناً وأعمله في ضلعه، لكن بدلاً من الزيت، سال منه دفق من الدم وخر شبه ميت. جهد الدب في تضميد جرحه وفي وقف نزيفه. ثم قرّعه قائلاً: «أيها الأخرق الصغير، أنا ضخم وقوي يملؤني الشحم والسكين لا تؤذيني، أما أنت صغير وهزيل، فلا يسعك القيام بهكذا أمور».

Twitter: @ketab_n

الأرنب يفر من الذئاب

ذات يوم قبضت بعض الذئاب على الأرنب وكانت على وشك التهامه حين سألها السماح له في أن يريها رقصته الجديدة. كانت الذئاب تعرف أن الأرنب قائد غناء عظيم، كما رغبت في تعلم الرقصة الأحدث، فوافقت على السماح له وأقامت حلقة حوله فيما أخذ يستعد. ضرب بقدميه وشرع في الرقص في دائرة، منشداً:

تلاغي سيتون غالي سغي سيدا ها

ها نيا ليل ليل! ها نيا ليل ليل!

عند طرف الحقل أدور راقصاً -

ها نيا ليل ليل! ها نيا ليل ليل!

ثم قال: «الآن حين أنشد 'عند طرف الحقل'، فسوف أرقص على هذا النحو» - ورقص متقدماً في تلك الجهة - «وحين

Twitter: @ketab_n

أنشد 'ليل ليل' فعليكم جميعاً أن تضربوا بأقدامكم بقوة». رأت الذئاب أن ذلك حسن. شرع الأرنب في دورة أخرى منشداً الأغنية ذاتها، ورقص أقرب بقليل من الحقل، فيما أخذت الذئاب جميعها تضرب بأقدامها. أخذ ينشد أعلى وأعلى ويرقص دانياً من الحقل أكثر فأكثر، إلى أن قام، إذ بلغ المرة الرابعة في غنائه، وفيما كانت الذئاب تضرب بأقدامها بقدر ما تستطيع ولا تفكر سوى بالأغنية، بالوثب قفزة واحدة واختفى داخل الحشائش الطويلة. انطلقت الذئاب في إثره على الفور، غير أنه ركض إلى جذع مجوف وتسلق إلى داخله. حين بلغت الذئاب الجذع قام أحدها بوضع رأسه في الداخل ليرى الأرنب، إلا أن الأخير بصق في عينه فاضطره لإخراج رأسه. خاف الآخرون من المحاولة وغادروا، وقد ظل الأرنب في داخل الجذع.

Twitter: @ketab_n

الظران[1] يزور الأرنب

في سالف الأيام كان تاوي سكالا (الظران) يعيش في أعلى الجبال، وقد كرهته الحيوانات كلها لأنه ساعد على قتل الكثير منها. فدأبت على الاجتماع والتباحث حول ما يمكن القيام به لاجتنابه، لكن جميعها كان خائفاً من الاقتراب من بيته، إلى أن عرض الأرنب، القائد الأكثر شجاعة بينها، الذهاب في إثر الظران ليحاول قتله. أُخبر الأرنب عن مكان الظران فانطلق وانتهى عند داره.

كان الظران واقفاً عند باب بيته حين وصل الأرنب وقال مستهزئاً: «سي يو! مرحباً! أأنت من يسمونه الظران؟».

أجاب الظران: «أجل، هذا ما يسمونني به».

(1) الظران، أو الظر، هو الصوان. بحسب الهنود الحمر الصخر متعدد الأنواع ولكل منه روح كامنة. في القصة أعلاه الظران هو كائن حي، كونه روحاً من أرواح الصخر، يشتهر باحتوائه على رؤوس سهام حصل عليها من البشر، كما يشتهر بغطائه الصواني الأبيض عند البطن. بعد أن ضربه الأرنب بمطرقته تناثرت روح الظران صواناً من أربعة ألوان هي الأبيض والأحمر والأسود والأزرق. الصوان الأخير هو الأكثر قيمة وهو يستخدم في صنع رؤوس السهام (م)

Twitter: @ketab_n

«أتعيش هنا؟».

«أجل، أعيش هنا».

طيلة الوقت كان الأرنب يجول بنظره في المكان محاولاً إعداد خطة ما تُخرج الظران من حذره. فقد كان يتوقع أن يقوم الأخير بدعوته الدخول إلى منزله، فانتظر برهة قصيرة، لكن حين لم يأت الظران بأي حركة، قال الأرنب: «حسناً، اسمي الأرنب، سمعت عنك أشياء حسنة، وها أنا قد أتيت أدعوك لزيارتي».

طلب منه الظران عنوان بيته، فقال له الأخير إن بيته هناك في حقل الوزال القريب من النهر. فوعده الظران بزيارته خلال أيام قليلة.

«لماذا لا تأتي الآن وتتناول العشاء معي؟».

وبعد شيء من التملق، وافق الظران وبدأ الاثنان بالانحدار من الجبل.

حين اقتربا من جحر الأرنب قال الأخير: «ها هو بيتي، لكني في الصيف أبقى في الخارج حيث الطقس أبرد». أوقد الأرنب النار وتناولا العشاء فوق الأعشاب. وحين فرغا

Twitter: @ketab_n

استلقى الظران ليرتاح، في حين أحضر الأرنب أعواداً كبيرة كما أحضر سكينه وصنع مطرقة ووتداً. نظر الظران وسأله عن الغاية من ذلك. فأجابه: «أحب صنع الأشياء، علها تكون مفيدة». فعاد الظران إلى الاستلقاء، وسرعان ما بدا عليه النوم. وجه الأرنب إليه كلامه مرة أو مرتين ليتأكد من نومه، ولم يكن ثمة جواب. ثم تقدم فوق الظران وبضربة قوية واحدة من المطرقة دق الوتد الحاد في جسم الأخير وركض بأقصى سرعته إلى جحره، لكن قبل وصوله علا انفجار مدوي، وتناثرت قطع الظران في الأنحاء. لهذا نجد الصوان في أماكن كثيرة اليوم. وقد أصابت إحدى الشظايا الأرنب من الخلف وجرحته في أثناء دخوله في جحره. ثم جلس مصيخاً السمع إلى أن هدأ كل شيء من جديد. فأخرج رأسه لينظر حوله، إلا أنه وفي تلك اللحظة ذاتها سقطت قطعة أخرى وأصابته في شفته وشقتها، كما لا نزال نراها إلى يومنا هذا.

Twitter: @ketab_n

كيف حصل الغزال على قرونه؟

في البدء لم يكن للغزال قرون، بل رأس أملس كمثل رأس أنثى الظبي. وكان الغزال عداء عظيماً والأرنب وثاباً عظيماً، وكانت جميع الحيوانات مهتمة بمعرفة من سيفوز إن تسابقا معاً. تداولت الحيوانات في الأمر كثيراً، وفي النهاية قامت بتنظيم مباراة بين الاثنين، وصنعت قرنين مزدوجين جميلين ليكونا جائزة للفائز. كان ينبغي عليهما الانطلاق معاً من أحد أطراف الأجمة والذهاب عبرها، ثم الاستدارة والعودة منها، ومن يعود قبل الآخر يفوز بالقرنين.

في اليوم المحدد اجتمعت جميع الحيوانات، ووضع القرنان على الأرض عند طرف الأجمة ليحدّدا نقطة الانطلاق. وبينما كان الجميع معجباً بالقرنين قال الأرنب: «لا أعرف هذه الناحية من البلاد، أريد إلقاء نظرة عبر الآجام التي ينبغي لي أن أركض عبرها». اعتقدت الحيوانات أن لا بأس في الأمر، فدخل الأرنب في الأجمة، لكنه أطال غيابه إلى أن اشتبهت الحيوانات بالأمر،

Twitter: @ketab_n

واعتبرت أن هذه واحدة من حيله. فقامت ببعث رسول كي يبحث عنه، وهناك في قلب الأجمة وجد الأرنب يقضم الآجام ويجزها حتى صار له الطريق ممهداً إلى الجانب الآخر تقريباً.

استدار الرسول بهدوء وعاد وأخبر الحيوانات الأخرى بما رآه. حين أقبل الأرنب أخيراً اتُهم بالغش، غير أنه نفى ذلك إلى أن دخلوا الأجمة وعاينوا الطريق المشذب. توافقت الحيوانات على أنه لا يحق لمحتال كهذا المشاركة في السباق، فقامت بمنح القرنين إلى الغزال، الذي اعتبر العداء الأفضل، وبات يلبس هذين القرنين منذ ذلك الحين. وقالت الحيوانات للأرنب إنه نظراً لولعه الشديد بتشذيب الآجام فينبغي عليه ممارسة ذلك ليعيش، وهذا ما يفعله إلى اليوم.

Twitter: @ketab_n

لماذا أسنان الغزال كليلة[1]؟

أحس الأرنب بالحزن لأن الغزال فاز بالقرنين، فصمم على أن يتساوى به. في يوم من الأيام القليلة التي تلت السباق مدد كرمة كبيرة فوق خط التسابق وقام بقضمها في وسطها فكادت أن تنفصل إلى قسمين. ثم تراجع قليلاً إلى الوراء، وركض بسرعة وقفز فوق الكرمة. ظل يركض ويقفز فوق الكرمة إلى أن جاء الغزال وسأله عما يفعله؟

فأجابه: «ألا ترى؟ أنا قوي جداً فاستطيع اجتياز الكرمة في قفزة واحدة». لم يصدّق الغزال ذلك، وطلب رؤية ذلك بأم العين. هكذا تراجع الأرنب إلى الخلف، ثم جرى ووثب وثبة هائلة، واجتاز الكرمة في وسطها حيث كان قد قضمها من قبل. عندما شاهد الغزال ذلك قال: «حسناً، كونك فعلتها أستطيع أن أفعلها أيضاً». عندها قام الأرنب بمد كرمة أكبر وسط خط التسابق، لكن من غير أن يقضمها في وسطها.

(1) غير قاطعة (م).

Twitter: @ketab_n

ركض الغزال إلى الخلف كما كان قد رأى الأرنب يفعل، ثم وثب، وصدم الكرمة في وسطها تماماً، غير أنها طارت قليلاً إلى الوراء وحسب، ورمته ليسقط على رأسه. قام بالمحاولة مراراً، إلى أن امتلأ بالكدمات وراح ينزف.

«دعني أر أسنانك،»، قال الأرنب في النهاية. فعرض الغزال أسنانه له، وكانت طويلة كأسنان الذئب، لكنها لم تكن باترة كثيراً.

قال الأرنب: «لا عجب من عدم تمكنك من فعلها، فأسنانك كليلة جداً لا يمكن أن تبتر شيئاً. دعني أشحذها لك كي تصبح مثل أسناني. أسناني قاطعة للغاية فأستطيع قطع العصا كمثل سكين». وعرض الأرنب عليه غصن شجرة خروب أسود، كالأغصان الصغيرة التي تقضمها الأرانب، كان قد براه كمثل ما قد تفعل السكين، وذلك بأسلوب الأرانب المعهود. ظن الغزال أن الأمر بهذه السهولة. فأحضر الأرنب حجراً صلباً خشن الأطراف وأخذ يبرد به ويبرد أسنان الغزال فكادت أن تبلغ مستوى لثته.

«هذا يؤلم»، قال الغزال، لكن الأرنب قال إنها دائماً تؤلم قليلاً في بداية شحذها، فالتزم الغزال الصمت.

Twitter: @ketab_n

قال الأرنب في النهاية: «جربها الآن». فجربها الغزال، لكنه هذه المرة لم يستطع العض أبداً.

فقال له الأرنب: «لقد دفعت الآن ثمن قرونك»، فيما كان يثب مختفياً عبر الآجام. منذ ذلك الحين وأسنان الغزال كليلة تماماً فيتعذر عليه مضغ شيء سوى العشب وأوراق الأشجار.

Twitter: @ketab_n

مصير الأرنب

كان الغزال غاضباً جداً من الأرنب لقيام الأخير ببرد أسنانه وصمم على الانتقام، لكنه ظل هادئاً وتظاهر بالمودة إلى أن ابتعد الأرنب عنه. ثم، في أحد الأيام، فيما كانا يجولان معاً ويتحدثان، قام بتحدي الأرنب في الوثب ضده. وبما أن الأرنب من أعظم الوثّابين، كما يعلم الجميع، فقد وافق على الفور. كان ثمة جدول صغير على مقربة من الطريق مثلما هو شائع في تلك البلاد، فقال الغزال:

«لنر إن كنت تستطيع القفز من فوق هذه الساقية. سوف نتراجع بعض الشيء، ثم، وحين أقول كو! كلانا سيركض ويقفز».

«حسناً»، قال الأرنب. هكذا تراجعا إلى الخلف ليبدءا على نحو جيد، وحين أطلق الغزال إشارة كو! ركضا نحو الجدول، ووثب الأرنب وثبة واحدة وحط في الجهة الأخرى. لكن الغزال توقف عند الضفة، وحين نظر الأرنب إلى الوراء كان

Twitter: @ketab_n

الغزال قد سحر الجدول فألفى نهراً كبيراً. ولم يستطع الأرنب العودة مرة أخرى أبداً وهو لا يزال في الجهة الأخرى.

أما الأرنب الذي نعرفه فهو مجرد كائن صغير جاء بعد ذلك.

Twitter: @ketab_n

لماذا للمِنْك[1] رائحة؟

كان المِنْك لصاً كبيراً وقد عقدت الحيوانات في النهاية مجلساً لبحث المسألة. وقرروا حرقه، فقبضوا عليه، وأضرموا ناراً عظيمة، ورموه فيها. إذ تصاعد اللهب وتنشقوا رائحة اللحم المشوي، بدأت الحيوانات ترى أنه نال ما يكفي من العقاب وأنه على الأرجح سيحسن تصرفه في المستقبل، فأخرجوه من النار. لكن المِنْك كان قد اسودّ تماماً وظلّ كذلك منذ ذلك الحين، وفي كل مرة يتعرض فيها للهجوم أو الاستفزاز فإنه يفوح من جديد برائحة كمثل رائحة اللحم المشوي. إلى ذلك، فإن الدرس لم يجد نفعاً، ولا يزال المِنْك لصاً كبيراً كما كان.

Twitter: @ketab_n

(1) حيوان ثديي لاحم شهير بفروه (م).

لماذا يحيا الخُلد في باطن الأرض؟

كان ثمة رجل مغرماً بامرأة لا تحبه ولا تجد أي قاسم مشترك معه. لم يترك سبيلاً إلا وسلكه لكي ينال إعجابها، لكن من دون طائل، إلى أن نال منه الإحباط في النهاية وأصابه الإعياء جراء تفكيره بها. حينذاك ظهر الخلد، وسأله، حين رآه في تلك الحال، عن سبب ضيقه. أسر له الرجل بالحكاية كلها، وحين انتهى قال الخُلد: «أستطيع مساعدتك، وهي بعد ذلك لن تحبّك فحسب، بل ستأتي إليك بملء إرادتها».

هكذا في تلك الليلة حفر الخُلد طريقه في باطن الأرض إلى حيث كانت الفتاة نائمة في سريرها وقام بانتزاع قلبها. ثم عاد بالطريق عينها وأعطى القلب للرجل، هذا الأخير الذي لم يتمكن من رؤية ذلك القلب حتى حين وُضع في يده. «هذا هو»، قال الخُلد، «ابلعه، وسوف تَنقاد للمجيء إليك ولن يسعها اجتناب الأمر». بلع الرجل القلب، وحين استيقظت الفتاة من نومها بدا أنها تفكر به في الحال، وأحست برغبة غير عادية في أن تكون

Twitter: @ketab_n

معه، كأن عليها الذهاب إليه فوراً. احتارت في أمرها ولم يسعها أن تفهم ذلك، لأنها لطالما كرهته، إلا أن مشاعرها في النهاية صارت قوية جداً ما جعلها تخضع للذهاب إلى الرجل بنفسها وأن تعترف له بحبها له وبأنها ترغب في أن تكون زوجته. وهكذا تزوجا، لكن دهش جميع السحرة الذين عرفوهما وتساءلوا عما استجد. عندما وجدوا أن ذلك كان صنيعة الخُلد، هذا الأخير الذي طالما كان عديم الأهمية بالنسبة إليهم، أحسوا بغيرة شديدة وهددوا بقتله، فقام بالاختباء تحت الأرض ولم يجرؤ على الصعود إلى سطحها منذ ذلك الحين.

Twitter: @ketab_n

هروب الرّق[1] من الذئاب

خرج الأبوسوم والرق معاً لجمع ثمر البرسيمون[2]، ووجدا شجرة مليئة بالثمر الناضج. تسلق الأبوسوم الشجرة وأخذ يرمي الثمرات للرق، حينها اقترب ذئب وأخذ يخطف تلك الثمرات بفكيه وهي تسقط قبل أن يتمكن الرق من الوصول إليها. تحين الأبوسوم الفرصة، وتمكن أخيراً من رمي ثمرة كبيرة (بعضهم يقول إنه رمى عظماً كان يحمله معه)، فعلقت في حلق الذئب فيما كان يثب إليها وخنقته حتى مات.

قال الرق: «سوف آخذ أذنيه فتكونان ملعقتين للجريش[3]»، وقام بقطع أذني الذئب ومضى بهما إلى أحد البيوت تاركاً الأبوسوم مثابراً على أكل ثمر البرسيمون في أعلى الشجرة. بعد هنيهة بلغ البيت ودُعي لتناول بعض سخينة[4] الـ كاناهي نا من جرة توضع خارج الباب على

(1) الحَمَسَة، وهي سلحفاة المياه العذبة (م).
(2) البرسيمون هو شجر ذو ثمر أصفر (م).
(3) Hominy: جريش الذرة (م).
(4) السخينة: حساء يُعَد بغَلي الدقيق مع الماء أو الحليب (م).

Twitter: @ketab_n

الدوام. جلس قرب الجرة وغرف السخينة مستخدماً إحدى أذني الذئب كملعقة. لاحظ الناس ذلك وتعجبوا. عندما أحس بالشبع قام ومضى، لكنه سرعان ما بلغ بيتاً آخر ودُعي لتناول المزيد من الـ كاناهي نا. غرف السخينة بأذن الذئب مرة أخرى وغادر بعد أن اكتفى. ما هو إلا وقت قصير حتى انتشر خبر قيام الرق بقتل الذئب وباستخدامه أذني القتيل كملعقتين. تداعت الذئاب كلها وانطلقت في إثر الرق حتى قبضت عليه وسجنته. ثم عقدت مجلساً لتقرر ماذا تفعل به، وتوافقت على سلقه بقدر من الصلصال. جيء بالقدر، إلا أن الرق ضحك من ذلك فحسب وقال إنه لو قامت الذئاب بوضعه في ذاك الشيء فسوف يرفسه ويحيله إلى قطع متناثرة. قالت الذئاب إنها قد تحرقه بالنار، لكن الرق ضحك مجدداً وقال إنه سيخمد النار. ثم قررت الذئاب رميه في أعمق حفرة في النهر وإغراقه. حينذاك أخذ الرق يتوسل لها كي لا تفعل ذلك، غير أنها لم تكترث، وجرته نحو النهر ورمته. وذاك ما كان ينتظره الرق طيلة الوقت، فغاص تحت الماء وطلع من الجهة الأخرى وغادر.

Twitter: @ketab_n

يقول بعضهم إنه حين رمي في النهر اصطدم بصخرة أدت إلى تحطيم ظهره ونثرت قطعه في عشرات الأمكنة. وأنشد أغنية سحرية:

غو دايي وو، غو دايي وو،

لقد خطت نفسي وأعـدت جمعها، لقد خطت نفسي وأعدت جمعها.

وتلاقت القطع المنثورة واجتمعت، لكن آثار الجروح بقيت ظاهرة عليه إلى يومنا هذا.

Twitter: @ketab_n

أصل رقصة القندس[1]: رأس القندس

مرة قبضت سبعة ذئاب على قندس وقالت له: «سوف نقتلك الآن وسيكون لنا شيء حسن نأكله».

لكن القندس قال: «عندما نعثر على طعام يستحسن علينا الاحتفاء به، كما يفعل الناس في رقصة الذرة الخضراء. أعرف أنكم تودون قتلي وأنه لا حيلة لي في الأمر، لكن إن أردتم الرقص فسوف أغني لكم. إنها رقصة جديدة تماماً. سوف أتمايل أمام سبع أشجار واحدة إثر أخرى وأنتم سوف ترقصون بدوركم ثم تستديرون وتعودون، وحين أعطي الإشارة في الدورة الأخيرة يمكنكم قتلي».

كانت الذئاب تتضور جوعاً، إلا أنها أرادت تعلم رقصة جديدة فطلبت منه أن ينفذ ما يقول. مال القندس باتجاه إحدى الشجرات وشرع بالأغنية، ها وي إيهي، فرقصت جميع الذئاب مستديرة نحوه، إلى أن أشار إليها صائحاً يو! وبدأ بالـ ها وي

(1) السمور (م).

Twitter: @ketab_n

إيهي، حينها استدارت وأخذت ترقص بصف واحد مشيحة له ظهرها. «هذا جيد»، قال القندس، وأكمل نحو الشجرة التالية وشرع بالأغنية الثانية. رقصت الذئاب نحو جهته ثم استدارت مع الإشارة ورقصت مشيحة له ظهرها مجدداً. «هذا جيد جداً»، قال لها، وأكمل نحو شجرة أخرى وشرع بالأغنية الثالثة. رقصت الذئاب بأحسن ما تستطيع وقام القندس بتشجيعها، لكنه مع كل أغنية كان يتقدم إلى شجرة أخرى، وكانت كل واحدة من تلك الشجرات المتتالية تقترب قليلاً من جحره الذي في أسفل جذع. مع الأغنية السابعة قال القندس: «إنها الأغنية الأخيرة الآن، وحين أقول يو! عليكم جميعاً أن تستديروا وتطاردونني ومن يلقي القبض عليّ أكون له». هكذا شرع بالأغنية السابعة وأطالها إلى أن ابتعدت الذئاب. حينها أطلق صاح بالإشارة، يو! وقام بوثبة نحو جحره. استدارت الذئاب وأخذت تطارده، غير أنه سبقها إلى جحره ونزل فيه. ما إن بات في الداخل، حتى قام الذئب المتقدم بالتقاطه من ذيله وشده إليه ما أدى إلى انقطاعه، وقد بات للقندس ذيل قصير منذ ذلك الحين.

Twitter: @ketab_n

هجرة الحيوانات

في الأزمنة السالفة حين كانت الحيوانات تنطق وتعقد المجالس، واليرقانة الدودية والمرموط[1] يتزوجان البشر، كان ثمة في الجبال نقص هائل بثمار البلوط، فاجتمعت كل الحيوانات والطيور التي تتغذى منه وقامت بإرسال الحمامة إلى البلاد المنخفضة لترى إن كان يمكن العثور على طعام ما هناك. مضى وقت وعادت الحمامة وأفادت أنها عثرت على بلاد ينبت في أرضها البلوط «أعلى من كواحل أقدامنا». فقامت الحيوانات ونزلت معاً كمثل جيش جرار إلى البلاد المنخفضة.

Twitter: @ketab_n

(1) حيوان من القوارض (م).

انتقام الذئب أو الذئب والكلب

كان لكاناتي ذئاب تصطاد من أجله، إذ أنها كانت ماهرة بالصيد ولا تخيب أبداً. مرة قام بإرسال اثنين منها في وقت واحد. أحدها ذهب إلى الشرق ولم يعد أبداً. والثاني ذهب إلى الشمال، وحين عاد ليلاً ولم يجد صاحبه أدرك أن الأخير أصيب بمكروه فانطلق في إثره. بعد وقت من الارتحال وجد شقيقه ملقى شبه ميت قرب أفعى خضراء كبيرة (ساليكوا يا يي) كانت قد هاجمته. كانت الأفعى بدورها مصابة بجرح بالغ أعجزها عن أن تدب وتذهب، فقام الذئب الغاضب الذي يتمتع بقوى سحرية، بانتزاع عدد من شعرات شاربيه، وأطلقها على جسم الأفعى وقتلها. ثم عاد مسرعاً إلى كاناتي، هذا الأخير الذي أرسل الرق إلى طبيب عظيم كان يعيش في الغرب وذلك بغية إنقاذ الذئب الجريح. عاد الذئب لمساعدة شقيقه وقام بشفائه بواسطة قواه السحرية قبل أن يحضر الطبيب من الغرب، إذ كان الرق مسافراً شديد البطء فيما كان على الطبيب تحضير جذور أعشابه قبل المجيء.

Twitter: @ketab_n

في البدء، قال الناس، إن الكلب وضع في جبل ووضع الذئب قرب النار. حين حل الشتاء لم يستطع الكلب تحمل الصقيع، فعاد إلى القرية وأبْعَدَ الذئب عن النار. ركض الذئب إلى الجبال، التي لاءمته فازدهر هناك وتكاثر، إلى أن قام بعد مدة بالتجرؤ على مهاجمة القرية وقتل عدد من الحيوانات. تنادى الناس وطاردوه وقتلوه، لكن إخوته نزلوا من الجبال ونفذوا انتقاماً جعل الناس منذ ذلك الحين يخشون من إلحاق الأذى بالذئب.

Twitter: @ketab_n

قبائل الطيور

تُصنف جميع المخلوقات من ذوات الأجنحة تحت مصطلح عام هو أنينا هيليدا هي (الطيارون). الطيور، بصيغتي المفرد والجمع، تسمى تسي سكوا، العبارة التي تستخدم بالإجمال لتستثني الدواجن المنزلية التي جاء بها البِيْض. وحين ينبغي التمييز فيما بينها، فإنها تسمى، على التوالي، إناغيهي (التي تحيا في الغابات)، وأولوني تا (الداجنة).

ويُدعى أبو الحناء[1] تسيسكوا غوا، الاسم الذي يتعذر تحليله، فيما يدعى الدوري تسيكوا يا (العصفور الأصيل أو الأساسي)، ربما بسبب انتشاره الواسع، وذلك انسجاماً مع قاعدة التسمية الهندية. والكثير من أسماء الطيور، كما في اللغات الأخرى، يُستمد من حكاية أصواتها[2]، كمثل وا هوهو (البوم الصياح)، أوو غوكو (البوم الناعب)، واغولي (السبد الأمريكي[3])،

(1) أو أبو الحن، وهو طائر صغير صدره أحمر ضارب إلى الصفرة (م).

(2) Onomastics وهو علم أصول الكلمات وأشكالها، إذ تتم تسمية الأشياء أو الأفعال بحكاية أصواتها وباستعمال الكلمات التي يوحي لفظها بمعناها (م).

(3) طائر يطير في الغسق أو الليل ذو ريش مختلف الألوان (م).

Twitter: @ketab_n

كاغوو (الغراب)، غوغوي (السلْوى[1])، هوهو (الطائر المحاكي[2] الأصفر)، تسي كيلي (القُرقُف الأمريكي[3])، سا سا (الإوزة). فيما يُدعى القُمري[4] غولي–ديسكا نيهي (يبكي من أجل البلوط)، وذلك لشبه صوته بلفظ عبارة بلوط (غولي). وتدعى قبّرة المروج ناكويسي (نجمة)، إذ أن ذيلها حين يُبسط يبدو مُحلقاً. ويدعى كاسر الجوز[5] تسولي نا (الأصم)، ويعتقد أنه لا يسمع نظراً لتجاهله الجَسُور لوجود الإنسان.

وهناك أمراض محددة شخصت من قبل الأطباء بوصفها آتية من الطيور، وهي إما أشباح طيور منتقمة، وإما ريش طيور قريبة من البيت، وإما ظلال طيور تسقط على المريض من علٍ.

ويعتبر النسر (آوا هيلي) الطائر المقدس العظيم عند الشيروكي، كما عند جميع القبائل الهندية تقريباً، وهو يتخذ موقع الصدارة في طقوسهم الاحتفالية، وتحديداً في كل المناسبات المتصلة بالحرب. والنوع الأكثر تقديراً منه هو النسر الذهبي أو نسر الحرب (Aquila chrsoetus)، والذي يسميه الشيروكي

(1) أو السمان (م).
(2) طائر غريد متميز بقدرته البارعة على محاكاة أصوات الطيور الأخرى (م).
(3) طائر صغير على رأسه شبه قلنسوة سوداء (م).
(4) الأنثى قُمْرية، وهو ضرب من الحمام حسن الصوت (م).
(5) طائر يتسلّق الأشجار ويغتذي بصغير الجوز والحشرات، وهو يسمى أيضاً خازن البندق (م).

Twitter: @ketab_n

«النسر المكسو بالريش الحسن»، بالنظر إلى ريش ذيله الجميل الأبيض المتوج بالأسود، والذي كان مرغوباً على نطاق واسع لغرض التزيين والاحتفال، إذ غالباً ما كان ذيل واحد من ذلك النسر بالنسبة للقبائل الغربية يساوي قيمة حصان.

وكان قتل نسر في أوساط الشيروكي في الأزمنة السالفة يعدّ حدثاً يشغل القرية بأسرها، وكان لا يمكن أن يقوم به سوى قاتل نسور محترف يتم اختياره في العادة نظراً لمعرفته بالطرق المتبعة وبالصلوات التي تتلى بعد قتل النسر بغية الحصول على براء من الدنس الاضطراري اللاحق، فيتم بذلك تفادي الانتقام من القبيلة. حُكي عن رجل من المحمية تعمد قتل نسر في تحد للأصول المتبعة وقد حلت فيه على نحو دائم أحلامٌ عن نسورٍ ضارية تنقض نازلة عليه، إلى أن بُدد الكابوس في النهاية بعد جلسات طويلة من العلاج الكهنوتي. وفي عام 1890 كان هناك قاتل نسور واحد لا أكثر عند الشيروكي الشرقيين. ولم يظهر إطلاقاً أن النسر كان يؤسر حياً كما كان يحصل في أوساط قبائل السهول.

وينبغي قتل النسر في الشتاء فقط أو في أواخر الخريف بعد جمع المحاصيل، إذ تكون الأفاعي قد أوت إلى أوكارها. فإنْ

Twitter: @ketab_n

قُتِل النسر خلال الصيف فإن صقيعاً يأتي ويتلف الذرة، فيما أغنيات رقصة النسر، حين يؤتى بالريش إلى الدار، تسعر من غضب الأفاعي التي ستضاعف حينذاك، خطورتها. لهذا السبب فإن أغاني النسر لا تنشد البتة إلا بعد دخول الأفاعي في سباتها الشتويّ.

حين يتوافق الناس على عقد رقصة النسر كان يُنادى قاتل النسر، من قرية بعيدة في أغلب الأحيان، ليدبر الريش للمناسبة. وكان يدفع له لقاء خدماته من تبرعات تُجمعُ فيما بعد خلال الرقص، وإذ كان يحرص المحترفون القلائل على إبقاء أسرارهم بمنأى عن الغرباء فقد اعتبر عملهم ذاك مربحاً إلى حد بعيد. كان قاتل النسر، عقب بعض التحضيرات الأولية، ينطلق إلى الجبال بمفرده، آخذاً معه بندقيته وقوسه وسهامه. هناك، إذ يبلغ الجبال، يشرع في الصلاة والصوم لمدة قد تصل إلى أيام أربعة، ليمارس الصيد من بعدها إلى أن يتمكن من قتل غزال. ثم، واضعاً جسم الغزال في موقع ظاهر للعيان عند واحد من الجُرُف الأعلى، يختبئ قريباً من هناك ويبدأ بالغناء بصوت خفيض أغنيات تدعو النسور للهبوط من السماء. عندما يحط النسر فوق جسم الجيفة – وذاك الأمر سيحصل فوراً إن كان المغني يجيد ما يقوم به –

Twitter: @ketab_n

يرديه، ثم يقف فوق الطائر الميت، ويتوجه إليه بصلاة يرجوه فيها ألا يسعى للثأر من قبيلته، لأن من اقترف هذا العمل لم يكن من الشيروكي بل من الإسبان (آسكوا ني). واختيار ضحية ثأر بديلة كهذه هو دليل على تعديل الصلاة القديمة إلى شكل معاصر وهو إشارة دائمة للفظائع التي ارتكبها المستكشفون الإسبان الأوائل بحق السكان الأصليين.

تنتهي الصلاة، فيترك الصياد النسر الميت حيث سقط وينطلق بأسرع ما أمكنه إلى القرية، حيث يترقّب الناس عودته بقلق. حين يلتقي المقاتلون الأوائل يقول ببساطة: «لقد مات طائر ثلج»، ويكمل في الحال إلى حيث يجب أن يكون، فقد انتهى عمله الآن. يعلن عن الأمر على هذا النحو وذلك للوقاية من انتقام أي من النسور التي قد تسمع عن طريق الصدفة، إذ أن طائر الثلج يعد مخلوقاً يكاد لا يلحظ كي يُخشى منه.

بعد انتظار أربعة أيام وذلك لمنح الوقت للحشرات الطفيلية كي تغادر جسم الطائر، ينطلق الصيادون المنتدبون للمهمة لجلب الريش. وبوصولهم إلى المكان يجردون الجسم من الذيل الكبير ومن ريش الجناحين، والتي يلفونها بجلد غزال طازج أحضروه معهم، ثم يعودون إلى القرية، تاركين جسم النسر الميت

Twitter: @ketab_n

على الأرض، مع الغزال المقتول، هذا الأخير الذي أرادوا له أن يكون أضحية لأرواح النسور. حين يبلغون القرية، يعلق الريش، الذي كان لا يزال ملفوفاً بجلد الغزال، في كوخ صغير مستدير بني خصيصاً لهذه الغاية على مقربة من طرف حلبة الرقص (ديدسانون لي) والمعروف بالمكان «حيث يحفظ الريش»، أو بيت الريش. بعض القرى تملك اثنين من بيوت الريش هذه، كل واحد عند طرفي حلبة الرقص. وتقام رقصة النسر في ليلة ذلك اليوم نفسه الذي جلب فيه الريش، إذ تكون جميع التدابير الضرورية قد اتخذت مسبقاً. في غضون ذلك، وبما أنه يفترض أن يكون الريش جائعاً بعد رحلته، يوضع طبق من لحم الغزال والذرة على الأرض تحته ويدعى الريش لتناول الطعام. كما يعلق جسم طائر الكتان أو تناجر[1] قرمزي (Piranga rubra) مع الريش للغاية ذاتها. وكان الطعام الذي يقدم للريش على هذا النحو يُوزع بعد الرقص، على ما يوصف في مكان آخر.

إذ كان النسر يعد آدا ويهي عظيم، فإن المحاربين العظام وحدهم كما أولئك الضليعون بالأمور الدينية يجرؤون على ارتداء الريش أو التزين به في الرقص. في حال حلم شخص من القرية بالنسور أو بريشها عليه أن يتدبر أمره في رقصة نسر، مع

(1) التناجر هو طائر أميركي صغير (م).

Twitter: @ketab_n

ممارسة التعبد والصوم المعتاد، عند أول فرصة، وإن لم يفعل فإن فرداً من عائلته سيموت. أما الحشرات الطفيلية التي ابتلت ريش الطائر في حياته وإن بلغت شخصاً فإنها سوف تبتليه بمرض جلدي سيتطور بالتأكيد، حتى لو ظل كامناً لسنوات. ولهذا السبب يُترك جسم النسر أربعة أيام على الأرض قبل الإتيان به إلى القرية.

ويرى الغراب الأسود (كا لانو) في الجبال بين الحين والآخر، لكنه ليس بارزاً في المعتقدات الشعبية، إلا فيما يتصل بحكايات الغراب الأسود الهازئ. وفي الأزمنة السالفة كان اسمه أحياناً يُعتبر كإعلان حرب. الغراب، بارز جداً في أساطير قبلية أخرى، وهو لا يبدو ظاهراً في أساطير الشيروكي. وهناك ثلاثة أنواع من البوم تبدو جلية في هذه الأساطير، لكل واحد منها اسم مختلف، أي: تسكيلي، البوم الداكن ذو القرنين، وأو غوكو، البوم المخطط، أو الناعب، ووا هوهو، البوم الصياح. الأول من بين هذه الأسماء يشير إلى ساحرة، أما الباقيان فهما يحاكيان الأصوات التي يصدرها صاحباهما.

ويجسد البوم والطيور الليلية الأخرى، على ما يُعتقد، أشباحاً وساحرات متخفيات، ولصياحها الليلي ذاك نذير شؤم.

Twitter: @ketab_n

لو اغتسلت عيني طفل بمياه ضمت واحدة من ريش جناح بوم أو ذيله، فإن الطفل سيكون قادراً على اليقظة طوال الليل. وعلى الريشة أن تكون هناك بالصدفة، لا أن يدبر وجودها عمداً لإيفاء الغرض. كما في المقابل، فإن استخدام ماء كانت تضم ريشة من الزرياب[1] الأزرق، على النحو المصادف ذاته، سوف تجعل الطفل مبكراً في استيقاظه.

وكان الصقر الجراح (سولي) قد ساهم في إعطاء الأرض شكلها، كما يقال وكما روي في أسطورة التكوين. فقد عرف بأنه طبيب بين الطيور، وهو يحظى بالاحترام بناء على هذا، على الرغم من أن ريشه لا يرتدى قطّ من قبل لاعبي الكرة، مخافة الصلع. صلعه ذاك يُفسر من خلال قصة مبتذلة. إذ كونه يتغذى من الجيف والعفن، فقد ظل منيعاً تجاه الأمراض، خاصة المعدية منها، وأكل كمية بسيطة من لحمه، أو استخدام حساء منه كغسول، عدا وقاية أكيدة من مرض الجُدري، وقد اعتمدا لهذه الغاية إبان تفشي الجُدري في أوساط الشيروكي الشرقيين في عام 1866. وبحسب مخطوطة واهنينواهي، فقد قيل أيضاً إن ريشة الصقر الجراح ستبعد الساحرات فيما لو تم وضعها فوق باب الكوخ. في علاج إصابات الطلقات النارية، فإن الدواء يُنفخ

(1) يسمى أيضاً القِيق أو أبو زريق، وهو طائر يشبه الغراب (م).

Twitter: @ketab_n

داخل الجرح بواسطة أنبوب يُقطع من عِراق ريشته[1] ومن ثم يغطى موضع الجرح بشيء من وبر الصقر الجراح.

ما يتعلق بالصقور يبقى قليلاً جداً، ما عدا ذاك الذي يعد صقراً أسطورياً عظيماً، الـ تلا نووا. ويصف تلا نووا أوسدي، (أو «تلا نووا الصغير») بأنه طائر كبير بحجم الديك الرومي وبلون أزرق مائل إلى الرمادي، وقد كان يلحق بأسراب الحمائم البرية، محلقاً فوقها في السماء ومنقضاً بين الفينة والأخرى على ضحية منها فيضربها بصدرها ويقتلها ويأكلها من حول جناحيها من دون أن يحط. إنه الباز[2] على الأرجح.

ويدعى فُرفُر[3] المستنقعات المنتشر، وهو معروف محلياً بدجاجة الوحل، أو الغطاس الصغير[4] يدعى ديغا غواني (الكسيح أو الأعرج)، بسبب عادته في الطيران لمسافات قصيرة جداً. في رقصة الـ ديغا غواني يتغنى الراقصون باسم هذا الطائر ويحاولون محاكاة حركاته العرجاء. وتظهر الـ داغول كو، أو الإوزة البيضاء الصدر في سياق أسطورة أصل التبغ. ويُرتدى ريش الـ تسكوايي،

(1) عِراق ريشة الطائر هي أنبوبتها القَرنية الجوفاء (م).
(2) طَائر يُصاد به (م).
(3) يسمى أيضاً السحنون وهو طائر ماني (م).
(4) من أسمائه أيضاً، الزعويطة (م).

Twitter: @ketab_n

البَلَشُون[1] الأبيض العظيم أو ابن الماء الأمريكي من قبل لاعبي الكرة، وذاك الطائر الذي استخدم ريشه الأبيض كشعار للسلام في الأزمنة السالفة، يرجح أنه «التم».

طائر نادر قيل أنه شوهد في المحمية بين الفينة والأخرى منذ سنوات عديدة أطلق عليه اسم غريب هو نوندا-ديكاني، «ينظر إلى الشمس»، «المحدق بالشمس». وهو يوصف بأن يشبه الكركي[2] الأزرق، وقد يرجح في أن يكون البلشُون الأزرق الصغير. وهناك زائر غير مواظب آخر، يعبر أحياناً فوق الجبل بمرافقة أسراب من الإوز البري، هو الـ غو ويسغووي، الاسم الذي يحاكي صوته. وقد وصف بشبهه لشُنْقب[3] كبير، وبساقيه الصفراوين وقدميه غير المكففتين[4]، كما اعتُقد أنه يزور الأراضي الهندية على فترات. ومن الجدير ذكره في المقام الأول هنا، حقيقة أن الزعيم الشهير جون روس استمد اسمه الهندي غو ويسغووي من هذا الطائر، وهو الاسم الذي تأبد بمنطقة كوويسكووي في أمة الشيروكي في الغرب.

---

(1) مالك الحزين (م).
(2) أو الغرنوق (م).
(3) يسمى أيضاً الجهلول، أو الشكب، أو البكاسين، وهو طائر طويل المنقار (م).
(4) من دون وترات، فيما القدم الكفية تتسم بأصابعها المتصلة بوترات، أو جُلَيدات، كأقدام الإوز (م).

Twitter: @ketab_n

هناك زائر مقلّ آخر، يشي بوفرة التوقعات الغريبة في أوساط الرجال الأكبر سناً في الشيروكي الشرقيين، ويدعى تسون ديغونتسو غي، أو تسون ديغوون تسكي، أي «المتفرع»، في الإشارة إلى ذيله. لم يظهر ذلك الطائر سوى مرة واحدة، في موسم قصير منذ أربعين عام مضت، ولم يظهر مرة أخرى منذ ذلك الحين. وقد قيل إنه بدا أزرق شاحباً، له لون أحمر في بعض المواضع، وإن حجمه بحجم الغراب تقريباً وإن له ذيلاً طويلاً متفرعاً كذيل السمكة. كان يفترس الزنابير، التي يلتقطها من أجنحتها، كما يلتهم اليرقانات في الأعشاش. وكان يظهر على نحو غير متوقع ويختفي فجأة، وقد ساد اعتقاد أنه ليس طائراً بل سمكة حصان أحمر[1] (عند الشيروكي أليغا)، النظرية التي أيدتها البقع الحمراء على جسمه وذيله الطويل المتفرع. حتى وقد أثبت أنه حين ظهرت تلك الطيور لأول مرة، شاهد بعض الصيادين في أوكونالوفتي سبعة منها تجلس على غصن شجرة كبير وكانت لا تزال على شكل حصان أحمر، برغم الريش والأجنحة التي كانت قد صارت لها. إنها بلا شك طيور أبو مقص[2] أو صيادة الذباب[3] الخُطافية الذيل التي تحيا عادة في تكساس وفي المناطق المحيطة بها، لكنها تأتي من وقت لآخر تائهة نحو الولايات الشرقية.

(1) ضرب من السمك (م).
(2) طائر يشتهر بذيله المتفرع الذي يفتحه ويغلقه كالمقص كما يشتهر بصيده الذباب (م).
(3) طيور تصطاد الذباب (م).

Twitter: @ketab_n

بسبب الحلقوم الزائد الأحمر للديك الرومي، الذي يشبه بعض الشيء تضخم الغدة الدرقية المعروفة في الجنوب بـ «النواة» (بلغة الشيروكي دولي تسي)، فإن ريش الطائر المذكور لا يرتدى من قبل لاعبي الكرة، كما لا يسمح للأطفال وللأشخاص المرضى بأكل رقبته، مخافة تضخم «النوى» كنتيجة لذلك. لحم الطَيهُوْج المطوق[1]، المعروف محلياً بالتدْرُج[2] (Bonasa umbellus)، محرم على المرأة الحامل، لأن الطائر المذكور يفقس حَضْنَة كبيرة لكنه يفقد معظمها قبل نضوجها. وفي تعليمات أكثر صرامة في هذه النظرية فإن لحم هذا الطائر يبقى محرماً على المرأة إلى أن تتخطى سن الإنجاب.

الطائر الأحمر[3]، تاتسو هوا، هو في الأصل، كما يعتقد، ابنة الشمس (انظر القصة). ويرد الهوهو، أو الطائر المحاكي الأصفر، في العديد من القصص، إذ يُعد خارقاً للطبيعة، بسبب قدراته على المحاكاة على الأرجح، كما يُمنح قلبه للأطفال كي يجعلهم أسرع تعلماً.

---

(1) طائر شمال أميركي (م).
(2) طائر ذيال شبيه بالحجل (م).
(3) ويسمى أيضاً الدغناش، أو الكردينال (م).

Twitter: @ketab_n

القُرْقُف الأمريكي (Parus carolinensis)، والقُرْقُف[1] ذو القُنْزُعة، (Parus bicolor)، أوتسوغي، أو أو ستوتي، هما كما يُعتقد، ناقلا أخبار، إلا أن الأول يُوَقر باعتباره صادقاً في قوله، فيما يُهزأ من الثاني كونه رسولاً كاذباً، وذلك لأسباب تتوضح في قصة نونيونو وي. وعندما يجثم تسيكيليلي على الغصن قرب البيت ويُسَقْسِق أغنيته فإن ذلك يؤخذ كبشارة بقرب سماع أخبار من صديق غائب، أو كنذير من أن عدواً خفياً يدبر أذى. الكثير من القصص يروى لتأكيد هذا الاعتقاد، من بينها على سبيل المثال قصة توم ستار، الخارج على القانون السابق والمعروف في أمة الشيروكي الغربيين، الذي كان ذات مرة، وبغفلة منه، على وشك الوقوع في كمين نصب له بجانب ممر ضيق، حين سمع نداء التسيكيليلي المُحذر، فاستدار فجأة، وابتعد عن طرف الحرف ونجح في الفرار ناجياً بحياته، على رغم المطاردة المحمومة له من قبل أعدائه.

(1) طار صغير قصير المنقار(م).

Twitter: @ketab_n

مباراة الكرة بين الطيور والحيوانات

مرة دعت الحيوانات الطيورَ إلى منازلة في مباراة كبيرة بلعبة الكرة، وقبلت الطيور. قام القادة بإعداد الترتيبات وعينوا اليوم الموعود، وإذ حان الوقت المتفق عليه اجتمع الطرفان في المكان لإقامة رقصة الكرة، الحيوانات في منبسط خفيض معشوشب بمحاذاة النهر، والطيور في قمم الأشجار بأعلى الجرف. كان الدب قائد فريق الحيوانات، وقد كان قوياً جداً وثقيلاً، بوسعه قهر كل من يقف في طريقه. طيلة الطريق إلى ميدان الكرة راح يقذف جذوعاً كبيرة في الهواء ليستعرض قوته ويتباهى أمام الطيور بما يمكن أن يفعله بها حين تبدأ المباراة. الرق – ليس الصغير الذي نعرفه بل الرق الأصيل الكبير – كان مع الحيوانات أيضاً. فقوقعته كانت صلبة جداً، فلا يمكن لأكثر الضربات عتواً أن تؤذيه، وقد داوم على النهوض على رجليه الخلفيتين ليعود ويُسقط نفسه بقوة على الأرض، متباهياً أنه على هذا النحو سوف يسحق

Twitter: @ketab_n

أي طائر يحاول انتزاع الكرة منه. ثم كان هناك الغزال، الذي بوسعه أن يسبق كل حيوان آخر. بالإجمال فقد كانت صحبة حسنة.

أما لطيور فاتخذت النسر قائداً لفريقها، وقد كانت جميعها، مع الصقر والـ تلا نووا العظيم، سريعة وقوية في الطيران، لكنها ظلت متهيبة من الحيوانات بعض الشيء. وكانت الرقصة قد انتهت ومكثت جميع الطيور في أعلى الأشجار تنظف ريشها وتنتظر إشارة قائد الفريق، حين ظهر في تلك اللحظة شيئان صغيران، أكبر قليلاً من فأر الحقل، وتسلقا الشجرة حيث يجثم قائد فريق الطيور. بلغا قمة الشجرة أخيراً ودبا على الغصن حيث يجثم النسر وسألاه إن كان بإمكانهما المشاركة في المباراة. نظر قائد الفريق إليهما، وإذ رأى أنهما من ذوي الأربع سألهما عن سبب عدم ذهابهما إلى الحيوانات التي ينتميان إليها. قال الكائنان الصغيران إنهما فعلا ذلك، لكن الحيوانات استهزأت بهما واستبعدتهما لأنهما صغيران جداً. فأشفق قائد فريق الطيور عليهما وأراد ضمهما إلى فريقه.

Twitter: @ketab_n

لكن كيف لهما الانضمام إلى الطيور وهما بلا أجنحة؟ تشاور النسر والصقر والآخرون، وتقرر في النهاية صنع بعض الأجنحة للرفيقين الصغيرين. حاولت الطيور طويلاً التفكير بأمر يفي بالغرض، إلى أن حدث وتذكر أحدها الطبل الذي استخدمه خلال الرقص. فقد صنع وجه الطبل المذكور من جلد خنزير الأرض، فربما يمكن اقتطاع زاوية منه وصنع جوانح منها. هكذا استلت الطيور قطعتي جلد من وجه الطبل وجعلتهما بشكل الأجنحة، وبسطتهما بواسطة أعواد قصب وثبتتهما فوق الساقين الأماميتين لأحد الحيوانين الصغيرين، إذ على هذا النحو ظهر الخُفاش، تلا ميها. رمت الطيور له الكرة وطلبت منه التقاطها، وبفضل الطريقة التي راوغ واستدار بها، مبقياً الكرة في الهواء دائماً وحائلاً دون سقوطها على الأرض، سرعان ما رأت الطيور أنه سيكون واحداً من أفضل رجالها.

ثم أرادت الطيور تهيئة الحيوان الآخر، غير أنها كانت قد استنفدت كل الجلد الذي بحوزتها في صنع جناحين للخُفاش، ولم يتبق لها وقت لجلب المزيد. فقال أحدها إنه يمكن تسوية الأمر عبر بسط جلد الحيوان الصغير، فقام طائران كبيران حينذاك بالإمساك به كل من طرف بواسطة منقاريهما القويين، وبعد

Twitter: @ketab_n

الشد بفروه على مدى دقائق تمكنا من تمديد جلده من الجانبين بين ساقيه الأماميتين والخلفيتين، حتى حصلا على السنجاب الطائر، تيوا. ولاختباره قام قائد فريق الطيور بقذف الكرة في الجو، فاندفع السنجاب الطائر خلفها، ملتقطاً إياها بأسنانه وحملها إلى شجرة أخرى قريبة من الجهة المقابلة للمنبسط.

وحين بات الجميع مستعداً أعطيت إشارة الانطلاق وبدأت المباراة، لكن وبُعيد الرمية الأولى التقط السنجاب الطائر الكرة وحملها إلى قمة شجرة، ومن هناك مررها إلى الطيور التي احتفظت بها في الجو لبعض الوقت إلى أن سقطت. اندفع الدب لالتقاطها، لكن الخُطاف[1] انقض عليها ورماها إلى الخفاش، الذي كان يطير دانياً من الأرض، وتمكّن الأخير بفضل مراوغته وانعطافاته من إبعادها حتى عن الغزال، إلى أن تمكن في النهاية من رميها وسط القائمين محرزاً الفوز للطيور.

ولم يحظ الدب والرق اللذان تباهيا كثيراً بقدراتهما حتى بفرصة واحدة للمس الكرة. قامت الطيور بعد انتهاء المباراة بمنح الخُطاف يقطينة[2] ليبني بها عشه، وما زال يحتفظ بها إلى الآن.

(1) طائر يشبه السنونو (م).
(2) نبتة اليقطين، أو القرع (م).

Twitter: @ketab_n

كيف حصل الديك الرومي على لحيته؟

حين فاز الرق بالسباق ضد الأرنب تعجبت جميع الحيوانات وتحدثت كثيراً عن الموضوع، لأنها طالما اعتبرت أن الرق بطيء، على الرغم من معرفتها بأنه محارب وأن لديه إضافة إلى ذلك العديد من الأسرار السحرية. غير أن الديك الرومي لم يقتنع وقال للآخرين إنه لابد من وجود خدعة ما في الأمر. وقال: «أنا أعرف أن الرق لا يمكنه الركض - فهو لا يكاد يزحف إلا بشق النفس- وسوف أعمل على اختباره».

هكذا وفي أحد الأيام التقى الديك الرومي الرق عائداً إلى البيت من معركة ما بفروة رأس[1] طازجة تتدلى من رقبته وكان يسير جاراً نفسه على الأرض. ضحك الديك الرومي من المشهد وقال: «فروة الرأس هذه لا تناسبك. رقبتك قصيرة جداً وخفيضة كي تضعها فيها على هذا النحو. دعني أرك كيف يمكنك وضعها».

(1) جزء من فروة رأس العدو ينتزعه الهنود الحمر كعلامة على النصر (م).

Twitter: @ketab_n

وافق الرق وأعطى الديك الرومي فروة الرأس، وقام الأخير بتثبيتها حول رقبته. قال الديك الرومي: «الآن، سوف أمشي قليلاً كي ترى كيف تبدو». فمشى إلى الأمام لمسافة قصيرة ثم استدار وسأل الرق رأيه بها. فقال: «تبدو جميلة جداً، وهي تناسبك تماماً».

قال الديك الرومي: «الآن سوف أضعها على نحو مختلف وأرك كيف تبدو». فأعاد الكرة من جديد ومشى إلى الأمام مرة أخرى.

فقال الرق: «أوه، هذا بالغ الجمال». لكن الديك الرومي أكمل ماشياً، وحين ناداه الرق كي يعيد له فروة الرأس لم يفعل سوى المشي بسرعة أكبر إلى أن انطلق راكضاً. حينها تناول الرق قوسه وبفضل فنونه السحرية أطلق عدداً من سهام القصب نحو ساق الديك الرومي لتشله فيعجز عن الركض، وهي المسئولة عن كل العظام الصغيرة الكثيرة في ساق الديك الرومي، والتي لا وظيفة لها على الإطلاق، غير أن الرق لم يوقف الديك الرومي البتة، هذا الأخير الذي ما زال يضع فروة الرأس في رقبته.

Twitter: @ketab_n

لماذا يكركر الديك الرومي؟

كان للطيْهُوج[1] صوت جميل وهتاف تشجيع حسن في مباراة الكرة. في تلك الأيام كانت جميع الحيوانات والطيور تلعب الكرة وكان افتخارها بهتافات التشجيع الصاخبة يشبه افتخار لاعبي الكرة بتلك الهتافات في هذه الأيام. لم يكن للديك الرومي صوت جميلٌ، فطلب من الطيهوج إعطاءه دروساً. وافق الطيهوج على تعليمه، لكنه أراد منه أن يدفع له لقاء أتعابه، فوعد الديك الرومي بإعطائه بعض الريش كي يصنع لنفسه ياقة. هكذا صار للطيهوج ياقة من ريش الديك الرومي.

شرعا بالدروس وقد تعلم الديك الرومي بسرعة كبيرة حتى رأى الطيهوج أن الوقت حان لاختبار صوته. فقال: «الآن، سوف أقف على ذلك الجذع الأجوف، وحين أعطي الإشارة ضارباً على الجذع، عليك بالهتاف مشجعاً بأعلى ما تستطيع». هكذا اعتلى الطيهوج الجذع مستعداً للضرب عليه، كما يفعل في

(1) طائر من رتبة الدجاج (م).

Twitter: @ketab_n

العادة، لكن حين أعطى الإشارة كان الديك الرومي شديد اللهفة والإثارة مما جعله عاجزاً عن رفع صوته للهتاف، فلم يُصدر سوى كركرة، ومنذ ذلك الحين هو يكركر كلما سمع صوتاً.

Twitter: @ketab_n

كيف حصل الرفراف[1] على منقاره؟

يقول بعض الطاعنين في السن إن الرفراف في البداية قُصد أن يكون طائر ماء، لكن كونه لم يحظ لا بقدمين وتريتين[2] ولا بمنقار مناسب فقد عجز عن العيش كما ينبغي. عقدت الحيوانات مجلساً للتباحث في الأمر وقررت أن تصنع له منقاراً كمثل مِخْرز طويل حاد لتصنير الأسماك[3] (طعنها). فصنعت له الحيوانات صنارة سمك وثبتتها في مقدمة فمه. طار إلى قمة شجرة، ثم انطلق وانقض نحو الماء، وعاد بسمكة في صنارته. وقد بات منذ ذلك الحين أمهر صائد بالصنارة.

أشخاص آخرون يروونها على هذا النحو: عثر أفعوان أسود على عش نقار[4] في شجرة جوفاء، وبعد أن ابتلع الطيور الصغيرة التف حول نفسه لينام في العش، هناك حيث وجدته العصفورة الأم حين أوت إلى البيت. ذهبت إلى شعب الصغار

(1) يسمى أيضاً القرِلى أوالقاوند، وهو طائر يعيش قرب الأنهار ويقتات بالأسماك (م).
(2) الوَتَرة هي الجُلَيْدَة التي بين كل إصبعين (سواء عند الإنسان أو عند طيور الماء) (م).
(3) صيدها كأنما بواسطة الصنانير (م).
(4) طائر النقار، أو نقار الخشب أو الشجر (م).

Twitter: @ketab_n

لطلب النجدة، فأرسلوها إلى الرفراف. حضر الأخير، وبعد طيران جيئة وذهاباً فوق الوكر لمرات عدة، قام بالانقضاض على الأفعوان وجرّه إلى الخارج ميتاً. عندما تفحصوه وجدوا ثقباً في رأس الأفعوان حيث طعنه الرفراف بسمكة توغالو نا الرفيعة، كان يحملها بمنقاره كمثل رمح. إثر ذلك رأى شعب الصغار أن باستطاعة الرفراف أن يكون صائد صنارة من الطراز الأول لو أنه يملك الرمح المناسب، فقاموا بمنحه منقاره الطويل مكافأة له.

Twitter: @ketab_n

كيف حصل الحجل على صفرته؟

في سالف الأيام كان للرق صوت جميل ولم يكن للحجل ذلك. كان الرق على الدوام يجول مصفراً ومتباهياً بصفرته أمام باقي الحيوانات، إلى أن أحس الحجل بالحسد، وفي أحد الأيام، عندما التقيا، طلب منه الحجل إعارته تلك الصفرة ليجربها. خاف الرق في البداية من المخاطرة بها، مشتبهاً في الأمر، إلا أن الحجل طمأنه قائلاً: «سوف أعيدها لك في الحال، وإن كنت خائفاً عليها يمكنك البقاء معي في أثناء ممارستي التمرين».

هكذا أعاره الرق صفرته ومضى الحجل ينفخ فيها على نحو حسن. ثم سأله: «ما رأيك بالصوت الذي أصدره؟». فأجاب الرق: «الله، إنك جيد جداً».

«والآن، ما رأيك بهذا الشيء»، قال الحجل وهو يركض في الأنحاء ويصفر على نحو أسرع قليلاً. أجابه الرق: «هذا حسن»، وأسرع كي يبقى بمحاذاته، «لكن لا تركض بسرعة كبيرة».

Twitter: @ketab_n

قال الحجل: «والآن، ما رأيك بهذا؟»، وبسط في تلك اللحظة جناحيه، مطلقاً صفرة طويلة، وطائراً إلى أعلى الشجرة، تاركاً الرق المسكين على الأرض ينظر إليه. لم يستعد الرق صفرته قطّ، وقد بات، جراء ذلك وجراء فقدانه فروة الرأس التي كانت بحوزته، والتي سرقها منه الديك الرومي، خجلاً من أن يُرى، وصار منذ ذلك الحين يأوي داخل صندوقه كلما اقترب منه أحد.

Twitter: @ketab_n

كيف حصل الطائر الأحمر[1] على لونه؟

في أحد الأيام صادف راكون[2] ذئباً وتفوه ببعض الكلمات المؤذية، إلى أن غضب الذئب في النهاية فقام وطارده. ركض الراكون بأسرع ما يستطيع وتمكن من الوصول إلى شجرة قريبة من النهر قبل أن يدركه الذئب. تسلق الشجرة وتمدد على غصن معلق فوق الماء. حين وصل الذئب رأى الانعكاس فوق صفحة الماء وظن أن الراكون هناك فقفز وأشرف على الغرق قبل أن يتمكن من الاندفاع بصعوبة ليخرج من الماء مبتلاً. استلقى على الضفة كي يجف وغرق في النوم. وفيما كان غافياً نزل الراكون عن الشجرة وألصق عيني الذئب بالروث. حين استيقظ هذا وجد أنه عاجز عن فتح عينيه وبدأ يَعْوِي. حينذاك اقترب طائرٌ بني اللون صغير كان آتياً من الآجام ووجد الذئب ينتحب فسأله ما الخبر. روى الذئبُ قصته وقال للطائر: «إن تمكنت من فتح عيني، فسوف أقودك إلى حيث تجد صباغاً أحمر جميلاً لتصبغ نفسك».

(1) ويقال له الدغناش أو الكردينال (م).
(2) الراكون: حيوان شمال أميركي ثديي من اللواحم (م).

Twitter: @ketab_n

قال الطائر البني: «حسنٌ»، وراح ينقر على عيني الذئب حتى انتزع كل ما كان ملتصقاً بهما. بعدها قاده الذئب إلى صخرة تتدفّق منها خطوط من الصباغ الأحمر القاني، فقام الطائر بطلاء نفسه بها، وصار، منذ ذلك الحين، الطائر الأحمر.

Twitter: @ketab_n

التدْرُج[1] يَسحَنُ الذرة أو أصل رقصة التدْرُج

في إحدى المرات شاهدَ التدْرُج امرأةً تَسحنُ الذرةَ في جرن خشبي أمام منزلها. فقال: «أنا أيضاً أستطيع فعل هذا». لكن المرأة لم تصدقه، فمضى التدْرُج إلى الغابة وعثر على جذع أجوف و«قرع» بجناحيه كما يفعل التدْرُج في العادة، إلى أن سمعه الناس الذين في البيت وظنوا أنه يَسحن الذرة بالفعل.

وفي رقصة التدْرُج، وهي جزء من رقصة الذرة الخضراء، فإن الآلة المستخدمة هي الطبل، ويقوم الراقصون بضرب الأرض بأقدامهم مراراً محاكين صوت القرع الذي يصدره التدْرُج. يشكل الراقصون دائرتين مُتراكزتين[2]، يكون الرجال في الداخل مواجهين النساء اللواتي في الدائرة الخارجية، فيتقدم كل بدوره وينسحب بإشارة من الطبال، الذي يجلس في إحدى الجهات مُنشداً أغنيات التدْرُج. وبحسب القصة، فقد حل، في إحدى المرات خلال الشتاء، شح أصاب الطيور والحيوانات. ولم يعد

(1) طائر ذيال شبيه بالحجل (م).
(2) مُتراكز: متحد المركز (م).

Twitter: @ketab_n

بالإمكان العثور على ثمر البلوط (الجوز المتساقط) في الغابات، وقد كان الحال قريباً من المجاعة حين اكتشف التدْرُج شجرة مقدسة تحمل التوت الأحمر نفسه الذي يقال إن التدْرُج مولع به. نادى رفاقه الطيور، فشكلوا دائرة حول الشجرة، منشدين راقصين، قارعين بأجنحتهم، علامة على البهجة، وهكذا ابتدأت رقصة التدْرُج.

Twitter: @ketab_n

السباق بين الكركي والطنان

كان الطنانُ والكركي مغرمين بفتاة جميلة. وهذه الفتاة فضّلت الطنان الذي كان وسيماً بقدر ما كان الكركي أخرق، غير أن الأخير كان شديد الإصرار حتى إن الفتاة كي تتخلص منه أخبرته بوجوب تحديه لغريمه بسباق تتزوج الفائز بنتيجته. كان الطنان يمتهى الرشاقة – كاد يشبه ومضة برق – وكان الكُركي يمتهى البطء والثقل، ما جعلها تثق بأن الفوز سيكون من نصيب الطنان. ولم تكن تعرف أن بوسع الكركي الطيران طوال الليل.

وافقا على الانطلاق من بيتها والطيران حول دائرة العالم إلى نقطة البداية، ومن يصل قبل الآخر يتزوج منها. مع إشارة الانطلاق اندفع الطنانُ كسهم، وفي لحظة غاب عن الأبصار تاركاً منافسه خلفه يتبعه متثاقلاً. طار طوال النهار، وحين حل المساء وتوقف للمبيت كان قد ابتعد كثيراً. لكن الكركي ظل طائراً طوال الليل، ليتجاوز الطنان بعيد منتصف ذلك الليل ويكمل إلى أن بلغ جدولاً فتوقف للراحة قبيل طلوع النهار.

Twitter: @ketab_n

استيقظ الطنان في الصباح وعاود الطيران، مُفكراً في مدى سهولة فوزه بالسباق، إلى أن بلغ الجدول ووجد الكركي هناك ينقد الشراغيف[1] بمنقاره الطويل كفطور. بدا شديد المفاجأة وحار في كيفية حصول الأمر، لكنه طار من هناك برشاقة وسرعان ما غاب عن نظر الكركي مرة أخرى.

أنهى الكركي فطوره وانطلق، وحين جاء المساء أكمل طائراً كما فعل في السابق. حين عبر هذه المرة من أمام الطنان النائم على الجذع كان منتصف الليل قد أوشك على الحلول، وفي الصباح أنهى فطوره قبل ظهور منافسه. في اليوم التالي أحرز بعض التقدم، وفي اليوم الرابع كان ينقد الشراغيف كعشاء حين عبر الطنان من أمامه. وفي اليومين الخامس والسادس كان أول المساء قد حل حين أقبل الطنان، وفي صباح اليوم السابع كان الكركي قد صار متقدماً بمقدار ليلة كاملة من السفر. تناول فطوره من دونما عجلة ومن ثم هندم نفسه قدر الإمكان عند الجدول، وفي الصباح الباكر وصل إلى نقطة الانطلاق حيث تعيش الفتاة. حين وصل الطنان بعد الظهر اكتشف أنه خسر السباق، غير أن الفتاة قالت إنها لن تقترن أبداً بزوج بشع كالكركي، وبقيت عزباء.

(1) جمع شرغوف، وهو فرخ الضفدع (م).

Twitter: @ketab_n

زواج البوم

كانت هناك امرأة أرملة تنبّه باستمرار ابنتها الوحيدة إلى وجوب حرصها على الزواج من صياد ماهر. اقتنعت الشابة بذلك ووعدت أن تعمل بنصيحة والدتها. أخيراً جاء من يطلب يدها وتقدم إلى والدتها سائلاً الزواج، لكن الأرملة قالت له إن الصياد الماهر فقط يمكنه الزواج من ابنتها. فقال الشاب: «أنا تماماً من هذا النوع»، وجدد طلبه منها في إيصال كلامه للمرأة الشابة. فقامت الأم إلى الفتاة وأخبرتها أن شاباً جاء خاطباً، وأنه، على ما قال، صياد ماهر يوافق ما كانت قد نصحتها بالزواج منه. فقالت الفتاة: «أفعل ما تقولين». وهكذا، حين عاود المجيء كان الأمر قد سوي، ومضى للعيش مع الفتاة.

في الصباح التالي استعد وقال إنه سيذهب إلى الصيد، لكنه قبل الانطلاق غير رأيه وقال إنه ذاهب لصيد السمك. غاب طوال اليوم وعاد في الليل متأخراً، مُحضراً فقط ثلاث أسماك صغيرة، قائلاً إن الحظ عاكسه، غير أنه سوف يصيب في الغد نجاحاً أكبر. عاود الانطلاق في صباح اليوم التالي لصيد السمك وغاب طوال اليوم، لكنه في الليل عاد إلى البيت بسحليتي ربيع (دووي غا) بائستين وبالعذر ذاته. في اليوم التالي قال إنه سيذهب للصيد هذه المرة. من

Twitter: @ketab_n

جديد غاب حتى الليل، وعاد أخيراً معه بعض النتف التي وجدها حيث قام عدد من الصيادين بتقطيع غزال.

حينذاك ساور الشك العجوز. فقامت في الصباح التالي، حين انطلق مجدداً لصيد السمك، كما قال، وطلبت من ابنتها اللحاق به سراً كي ترى ماذا يفعل. فتبعته الفتاة عبر الغابة وأبقته في مرمى نظرها إلى أن بلغ النهر، هناك حيث شاهدت زوجها يتحول إلى بوم صياح (أووغوكو) ويطير محلقاً نحو كَومة من خشب طاف في المياه ويصيح، «أوو-غو-كو! هوو!هوو!أوو!أوو!». بدت مندهشة وغاضبة جداً وقالت لنفسها: «اعتقدت أنني تزوجت رجلاً، واتضح أن زوجي مجرد بوم». ظلت تراقب وشاهدت البوم ينظر في المياه طويلاً ثم أخيراً ينقض نازلاً ويعود إلى الأعلى بحفنة من رمل بين مخالبه يُخرج منها إربياناً[1]. ثم يطير عابراً إلى الضفة، فيستعيد هيأة الرجل من جديد وينطلق إلى البيت ومعه الإرْبيان. سارعت زوجته وسبقته عبر الغابة ووصلت إلى البيت قبله. حين دخل حاملاً الإرْبيان، سألته عن باقي الأسماك التي اصطادها. فقال إنه لم يصطد شيئاً لأن بوماً كان قد أخاف الأسماك وأبعدها.

فقالت الزوجة: «أعتقد أنك أنت هو البوم»، وقامت بطرده من البيت.

مضى البوم إلى الغابة وهناك هزل من الألم والحب حتى لم يعد ثمة لحم على أي جزء من جسده سوى الرأس.

(1) الإرْبيان هو جراد البحر أو القريدس (م).

Twitter: @ketab_n

زواج الهووهوو

أحست أرملة لم يكن لها ابن، بل ابنة وحيدة، بضيق سبل العيش وراحت تلح على ابنتها الشابة باستمرار في أن يكون لهما رجل في العائلة، ويكون صياداً ماهراً قادراً على مد يد العون في الحقل. وذات مساء جاء إلى بيتهما عاشق غريب طالباً القرب، وحين أخبرته الفتاة أن بوسعها الزواج فقط ممن هو عامل ماهر، قال إنه ينتمي بالضبط إلى هذا الصنف من الرجال، فراحت الفتاة وأخبرت والدتها، وبناء على نصيحة الأخيرة، تزوجا.

في اليوم التالي أعطت الأرملة صهرها الجديد مِعْزَقة وأرسلته إلى حقل الذرة. وحين أُعد طعام الفطور ذهبت لمناداته جارية خلف صوت كصوت معزقة تضرب تربة متحجرة، لكنها حين وصلت إلى المكان فإنها لم تجد معزقاً سوى دائرة صغيرة من الأرض، ولم يكن ثمة أثر لصهرها. هناك، من قلب الآجام، سمعت الهووهوو يصيح.

Twitter: @ketab_n

إلى ذلك، لم يأت الصهر للغداء، وحين عاد إلى البيت في المساء سألته العجوز أين كان غائباً طيلة النهار. ففال: «كنت أكدح في العمل».

«لكني لم أرَكَ حين ذهبت لأدعوك إلى تناول الفطور».

«لقد كنت في قلب الآجام أقطع حطباً لسياج الحقل».

«لكن لماذا لم تأت إلى العشاء؟».

«كنت منهمكاً جداً في العمل».

حينذاك اقتنعت المرأة، وتناولوا العشاء معاً.

باكراً في الصباح التالي انطلق ومعزقته فوق كتفه. حين أُعِد الفطور ذهبت العجوز مرة أخرى لمناداته، وهناك لم يكن ثمة أثر لصهرها ولم تر أي عمل منجز، بل معزقة مطروحة أرضاً. وفي البعيد، من قلب الآجام، كان الهووهوو يصيح، «سو - ه! سو - ه! سو - ه! هوو! هوو! هوو! هوو! هوو! تشي! تشي! تشي! - وي!»

مضت عائدة إلى البيت، وحين رجع أخيراً في المساء سألته مجدداً ماذا كان يفعل طوال النهار.

Twitter: @ketab_n

«كنت أكدح في العمل».

«لكنني لم أجدك هناك حين قصدتك».

«أوه، ذهبت قليلاً إلى الآجام لرؤية بعض أقاربي».

حينذاك قالت المرأة: «إني أحيا هنا منذ زمن بعيد ولا أحد يعيش في المستنقع سوى طيور الهووهوو. ما تريده ابنتي هو زوج قادر على العمل، لا هووهوو كسول، إذن يمكنك الذهاب الآن». وطردته من البيت.

Twitter: @ketab_n

لماذا رأس الصقر الجراح أصلع؟

كان للصقر الجراح قُنزُعَة أنيقة جعلته من تباهيه بها يرفض أكل الجِيَف، وفيما كانت الطيور الأخرى ننقر في جسد غزال أو أي حيوان آخر كانت قد وجدته، كان يتبختر في الأرجاء قائلاً: «يمكنكم أكلها كلها، فهي لا تناسبني».

قررت الطيور الأخرى معاقبته، وبمساعدة الجاموس وضعت مكيدة لم تُفقد الصقر الجراح قُنزُعته فقط، بل أيضاً معظم الريش الذي يغطي رأسه. وقد فقد كبرياءه في الوقت عينه، فبات مستعداً بما فيه الكفاية لأكل الجيف كي يعيش.

Twitter: @ketab_n

انتقام النسر

سمع صياد في الجبال مرة في الليل صوتاً كزفيف الريح خارج الكوخ، وحين خرج وجد أن نسراً كان قد حط لتوه على عمود التجفيف وأخذ يمزق جسد غزال كان معلقاً هناك. من دون التفكير بالخطر، قام الصيد برمي النسر وأرداه. في الصباح حمل الغزال وانطلق عائداً إلى القرية، حيث روى ما فعله، فأرسل الزعيم بعض الرجال لإحضار النسر ولإجراء الترتيبات لإقامة رقصة النسر. عاد هؤلاء بالنسر الميت، وتمّت كل التحضيرات، وفي تلك الليلة بدأوا بالرقصة في دار البلدة.

قبيل منتصف الليل علا نعيق في الخارج ودخل محارب غريب في دائرة الرقص وبدأ يروي مآثره. لم يعرفه أحد، لكنهم اعتقدوا أنه آت من إحدى بلدات الشيروكي البعيدة. روى كيف أنه قتل رجلاً، وفي نهاية القصة أطلق صيحة بصوت أجش، هيي! روعت جميع الحاضرين، وسقط أحد الرجال السبعة، الذين يحملون الخشاخيش، ميتاً. ثم شدا الغريب بمأثرة ثانية،

Twitter: @ketab_n

وألحقها في الختام بصيحة هادرة أخرى. رجل آخر من حاملي الخشاخيش سقط ميتاً، فأصيب الناس بالذعر وما عادوا قادرين على التزحزح من أماكنهم. إلا أن الغريب أكمل، وعند كل فاصل بين رواياته كانت تلك الصيحة الرهيبة تعلو مرة أخرى، إلى أن سقط آخر حملة الخشاخيش السبعة ميتاً، وعندئذ خرج الغريب ومضى في الظلام.

بعد ذلك بزمن طويل علموا من قاتل النسر[1] أن الغريب ذاك كان شقيق النسر الذي أرداه الصياد.

Twitter: @ketab_n

(1) هو قاتل النسر المحترف والمتخصص والذي يعرف كيف يتلافى انتقام من يقتله (م).

الصياد والصقر الحوام

قضى صياد يوماً كاملاً وهو يبحث عن غزال في الجبال من دون أن يوفق، إلى أن أعياه التعب وجلس على جذع ليرتاح ويفكر بما يمكن فعله، حين جاء صقر حوام - الطائر الذي تمتع على الدوام بقوى سحرية - وأخذ يحوم فوقه وكلمه سائلاً إياه عن سبب ضيقه. حين أخبره الصياد قصته قال الصقر الحوام إن هناك الكثير من الغزلان في أعالي السلسلة الجبلية لو كان بوسع الصياد أن يرتفع في الجو فسيتمكن من رؤيتها، واقترح عليه أن يتبادلا الهيئة لبعض الوقت، حيث يذهب الصقر الحوام إلى زوجة الصياد في البيت، في حين يطارد الصياد الغزلان. وافق الصياد، فغدا الصقر الحوام رجلاً ومضى إلى زوجة الصياد في البيت التي استقبلته باعتباره زوجها، وغدا الصباد صقراً حواماً فطار فوق الجبل ليعين موضع الغزلان. بعد قضائه بعض الوقت مع المرأة التي لم تشك لحظة في كونه زوجها الحقيقي، واخذ الصقر الحوام نفسه، قائلاً لها إنه عليه الذهاب مجدداً للبحث عن طرائد وإلا

Twitter: @ketab_n

لن يكون لديهما ما يأكلانه. وصل إلى المكان الذي كان قد التقى فيه الصياد أول مرة، ووجد الأخير هناك بانتظاره وهو ما زال بهيأة الصقر الحوام. سأله إن كان قد وفق في ما قام به، فأجاب الصياد بأنه وجد العديد من الغزلان في أعلى السلسلة الجبلية، على ما قال الصقر الحوام. حينها أعاد الصقر إلى الصياد هيأته البشرية، واستعاد هو هيأة الصقر الحوام من جديد وطار مبتعداً. ذهب الصياد إلى حيث شاهد الغزلان وقتل العديد منها، ومنذ ذلك الحين ما عاد يرجع من الغابة خالي الوفاض.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

المعارف العامة
الفلسفة وعلم النفس
الديانات
العلوم الاجتماعية
اللغات
العلوم الطبيعية والدقيقة / التطبيقية
الفنون والألعاب الرياضية
الأدب
التاريخ والجغرافيا وكتب السيرة

كلمة
KALIMA
أبوظبي للثقافة والتراث
ABU DHABI CULTURE & HERITAGE
ISBN 978-9948-01-323-5
9 789948 013235